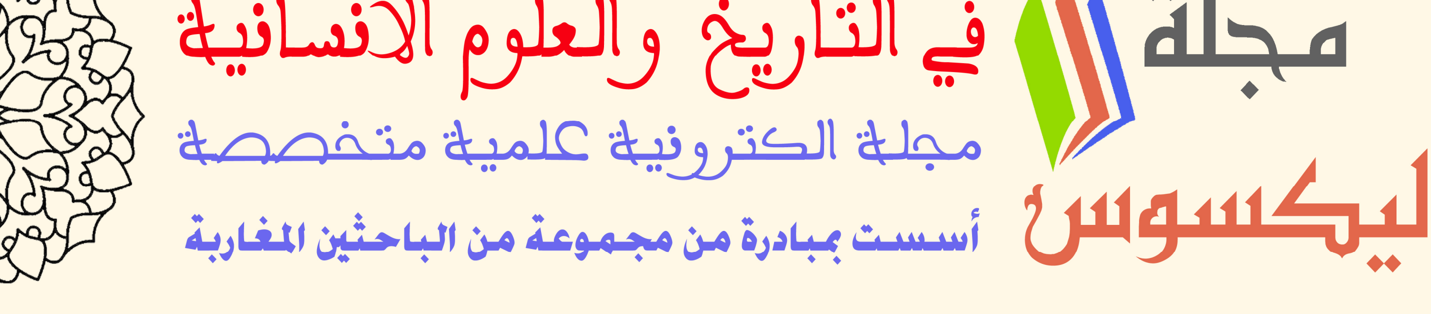




مجلة ليكسوس

في التاريخ والعلوم الانسانية

مجلة الكترونية علمية متخصصة

أسست بمبادرة من مجموعة من الباحثين المغاربة

العدد السادس ـ أكتوبر 2016

المساهمون في هذا العدد:

- محمد أبيهي
- خالد أوعسو
- عمر عمالكي
- حفيظة بوحسي
- عبد الحكيم الزاوي
- لحرش رضوان
- مراد حصول
- هشام مرزوق



مواقع الكترونية مفيدة:

- الجمعية المغربية للبحث التاريخي: www.amrh.ma
- موقع الاستقصا: www.alistiqsa.com
- بوابة تاريخ المغرب: www.maroc-histoire.net



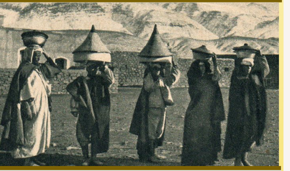
ضمن هذا العدد

- كتابة وإعادة كتابة التاريخ المحلي بالمغرب
- قراءة في كتاب مدينة موكادور ـ الشويرة: دراسة تاريخية أثرية
- القوانين العرفية الأمازيغية: آيت باعمران أنموذجا

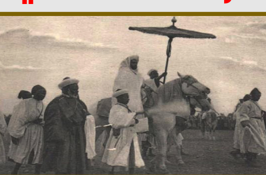
التاريخ البحري

تاريخ الجنوب المغربي

قضايا مناهج التاريخ



الحركات السلطانية



التاريخ الدبلوماسي



الأسرى المسيحيون



صورة العدد

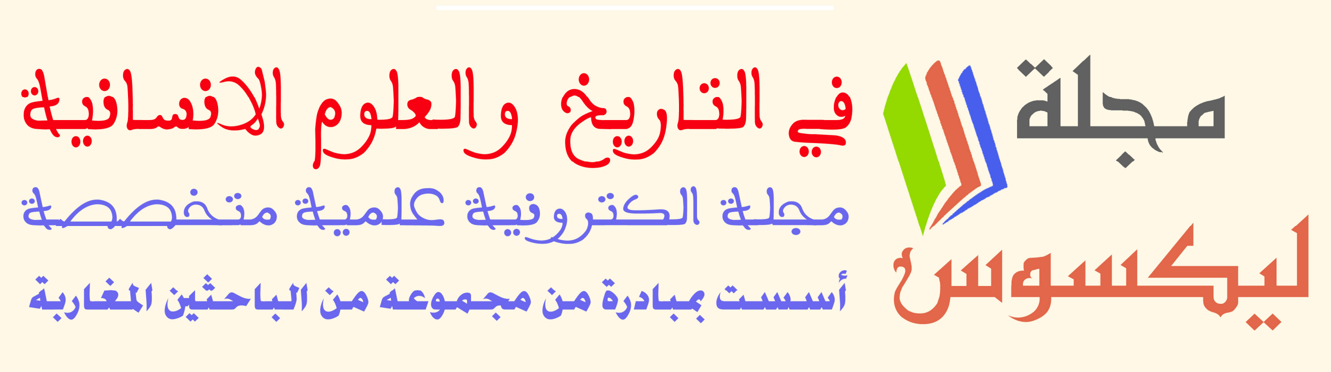
محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة سنة ١٩٥٢

www.maroc-histoire.net lixus@maroc-histoire.com

محاور العدد

- التاريخ: قضايا وإشكالات . التاريخ الدبلوماسي للمغرب . القوانين العرفية الأمازيغية . تاريخ أيت باعمران
- التاريخ البحري تاريخ المغارب . قضايا مناهج التاريخ . تاريخ الحركات السلطانية . تاريخ تطوان - العلاقات المغربية العثمانية

تنسيق وتصميم: محمد أبيهي





محاور العدد السادس - أكتوبر 2016

البريد الالكتروني lixus@maroc-histoire.com

قراءة في كتاب

محمد أبيهي

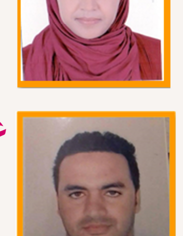
قراءة في كتاب:"مدينة موكادور ــ السويرة:دراسة تاريخية أثرية لــ د.مينة المغاري

مناهج التاريخ

خالد أوعسو

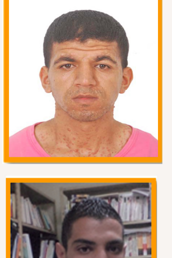
التاريخ بين الإيديولوجيا والذاتية نموذج: بول ريكور (الجزء الثاني)

قضايا التاريخ البحري



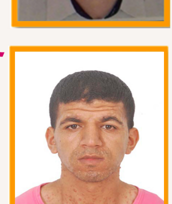
عمر عمالك،قراءة في مصادر البحرية من القرن١٩م

تاريخ الجنوب المغربي



حفيظة بوحسي،القوانين العرفية الأمازيغية : آيت باعمران أنموذجا

قضايا منهجية



عبد الحكيم الزاوي،كتابة وإعادة كتابة التاريخ المحلي بالمغرب وأسئلة تجديد المعرفة التاريخية.

التاريخ الدبلوماسي



لحرش رضوان،العلاقات المغربية العثمانية خلال الفترة الإسماعلية (١٦٧٢م/١٧٢٧م)

تاريخ المغرب المعاصر



مراد حصول،الحركات السلطانية في القرن التاسع عشر: زيارة المولى الحسن الأول لتطوان ١٨٨٩م "نموذجا

تاريخ المغارب



هشام مرزوق،المجتمعات المغاربية في الكتابات الأجنبية الأسرى المسيحيون خلال القرنين ١٧-١٨م



التصميم والاخراج الفني:محمد أبيهي



من ثمرات المطابع

ما هي حقيقة جيل الحروب الميدية في مقابل جيل حرب البيلوبونيز ؟ وما هي حقيقة بعض الشخصيات التي تركت أثرا في ذاكرة الإغريق عموما والأثينيين بشكل خاص كما أثرت على نظام حياتهم ومؤسساتهم داخل أسوار المدينة، أثينا، نذكر منهم صولون وكليستين وبيريكليس ؟ وماذا عن الديمقراطية الأثينية ؟ وعن العبودية ؟ فبفضل التعامل المنهجي مع نتائج الدراسات الأركيولوجية والنصوص الأدبية، بدأنا نُقدِّر الطابع الأصيل والمتميز لتاريخ دولة المدينة الأثينية وسط فضائها الشاسع: عالم البحر الإيجي القديم.

فبعد الأزمة الكبرى التي عاشتها أثينا في بداية القرن السادس ق.م، استطاعت الديمقراطية أن تفرض نفسها كنظام سياسي بديل في أثينا، وذلك بفضل ازدهار اقتصاد عبودي وكذلك بفضل إقرار نظام مبادلات تجارية تحتكره أثينا. ولما أصبح بقية الإغريق في مستوى زعزعة الهيمنة الأثينية فقد تراجعت دولة المدينة إلى حدودها الأصلية والإعتماد على مواردها وقوتها الذاتية، وهو ما جعلها تتحول إلى لقمة سائغة من قبل القوة المقدونية.



يعتبر عبد السلام التايب اليوم في المغرب من بين المتخصصين في تاريخ الإغريق. أستاذ بجامعة ابن زهر أكادير. شارك في ندوات وأيام دراسية وطنية ودولية وأوراش متخصصة في التاريخ القديم، كما نشرت له عدة مقالات، تهم التاريخ الإغريقي والشمال إفريقي في العصر القديم، في مجلات وطنية ومواقع إليكترونية مُحَكَّمَة أجنبية.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

تاريخ دولة مدينة : أثينا
(بين القرنين الثامن و الرابع قبل الميلاد)



عبد السلام التايب

دفاتر بيداغوجية 1

مصادر تاريخ الغرب الإسلامي
محاولة في التركيب والرصد

محمد البركة — سعيد بنحمادة



فهرس محتويات المجلة

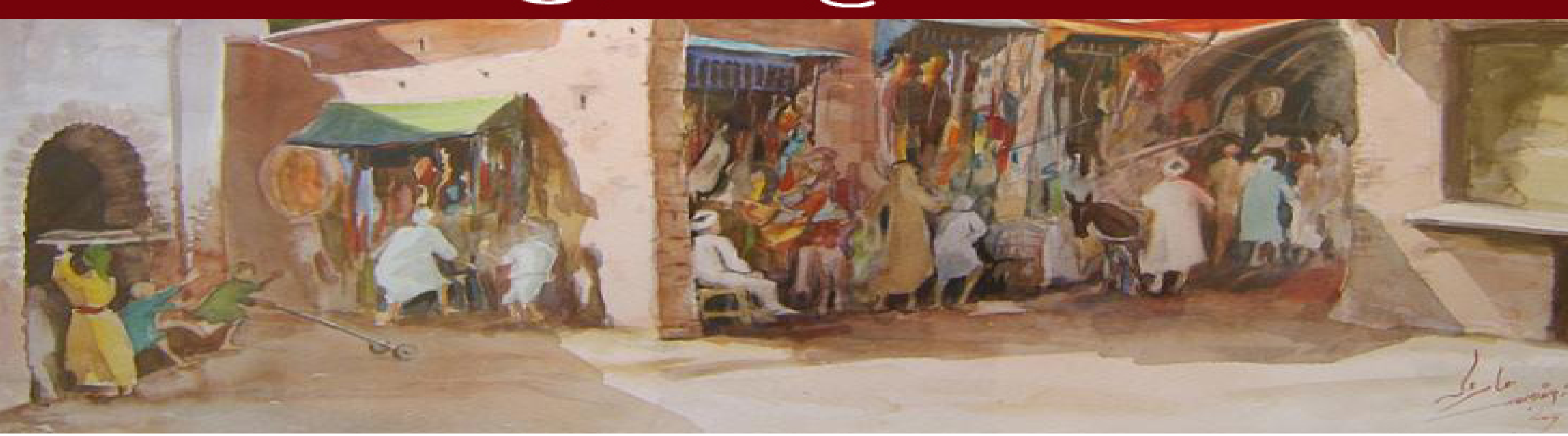
كلمة الافتتاح:

يسعد طاقم مجلة ليكسوس الالكترونية أن يضع بين يدي القارئ الكريم العدد الرابع من هذه المجلة الالكترونية الفتية، وأدرجت المجلة في هذا العدد ثلة من المواضيع المختلفة، وقد أسهم في اغناء محتوياتها باحثين من المغرب وخارجه،وهذا يعكس انفتاح مجلة ليكسوس على كل الباحثين بالمغرب وخارجه، وذلك لهدف تثمين التبادل المعرفي والعلمي بين الباحثين،وإيمانا من المجلة بضرورة ربط أواصر التعاون وتبادل الخبرات بين المهتمين في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية، لتكون رافدا ومرجعا علميا للطلاب والباحثين بالمغرب وخارجه.

وأملنا جميعا أن تكون هذه المساهمات العلمية إضافة بيبلوغرافية نوعية للقارئ الكريم، لتسليط الضوء عن بعض القضايا التاريخية، وكلنا أمل أن تكبر مجلة ليكسوس الالكترونية بفضل تفاعلكم معنا قراء وكتابا، وذلك لنشر المعرفة التاريخية على نطاق واسع، وننتظر مساهماتكم ومقالاتكم لاغناء هذا المشروع التاريخي الالكتروني، لكي يكون منارة وقنطرة للباحثين والتعريف بانتاجاتهم التاريخية. وفي الختام نشكر كل من ساهم في إثراء العدد الرابع من مجلة ليكسوس، وموعدنا سيتجدد إن شاء الله في العدد الخامس من هذا المولود الالكتروني الجديد ، ليواصل إصداراته الالكترونية لتعم الفائدة جميع المهتمين بالمعرفة التاريخية داخل وخارج المغرب.

طاقم مجلة ليكسوس الالكترونية

مناهج التاريخ





التاريخ بين الإيديولوجيا والذاتية
نموذج: بول ريكور (الجزء الثاني)



خالد أوعسو
باحث في تاريخ المغرب
تخصص:تاريخ الهجرة

2- مفهوم التاريخ:

لقد شكل التاريخ إحدى التيمات التي رهنت تفكير ريكور، ولعل مرد ذلك بالإضافة إلى طبيعة المشروع الفلسفي الذي نذر ريكور حياته لتأسيسه، والمرتبط أساسا بتأكيد التلازم الحاصل بين التاريخ والتصور التأويلي، فإن هذا الاهتمام أيضا يستقي مشروعيته من التحولات الكبرى التي عرفها القرن العشرين، والتي ترافقت مع السجالات الكبرى وكذا الأحداث التي عصفت بهذا القرن (الحربين العالميتين بكل مآسيهما) ، الأمر الذي حول أوربا عموما إلى مكان للتداول والتفكير بخصوص حرفة المؤرخ، منهجية اشتغاله، علاقته بالحقيقة، وهي قضايا لم يكن بالإمكان مطارحتها بعيدا عن الامتدادات والجروح التي خلفتها هذه الأحداث في الذاكرة، مادام الأمر يتعلق

بهوية مشتركة أي بتاريخ من التفاعل ظل عرضة للإدانة أو التوجيه بحسب سياقات الحاضر ورهانات الفاعلين[1].

ضمن هذا الإطار انشغل ريكور بحقل التاريخ شكلا ومضمونا، من خلال وقائعه وأحداثه التي شكلت مجالا لإنتاج الأحكام من جهة ، ومن جهة أخرى في ارتباط مع منهجية المؤرخ، أي بالآليات والوسائط التي يتم اعتمادها في بناء خطاباته ، لذلك ليس غريبا أن يتم التساؤل عن الغايات التي يهدف إليها المؤرخ حينما يبحث في الماضي من خلال شواهد الناس. كيف هي إذن طبيعة العلاقات بين هذا الماضي كموضوع والحاضر كأفق مفتوح؟.

إن قيمة هذه الإشكالية تستقي مشروعيتها ليس فقط عند المؤرخ بل وأحيانا كثيرة لدى الفيلسوف، من حيث اعتبار الفلسفة تفكيرا في معارف بعينها. لكن مع التأكيد أن طريقة تفكير الفيلسوف ليس هي نفسها عند المؤرخ.

إن في دخول ريكور مجال السجال بخصوص كل القضايا التي ينفتح عليها التاريخ من قبيل الذاكرة في علاقتها بالماضي، بالحاضر، بالمكان، بالزمان، بالموضوعية، يجعل من إسهاماته ذات قيمة ابستمولوجية بالخصوص .... ولتحقيق هذا الرهان المعرفي دخل ريكور في حوار مع مؤرخين كمارك بلوخ معتبرا التاريخ كقيمة ليس مستقلا عن مفاهيم الموضوعية، الحقيقة...

لذلك غدت العدالة أفقا منشودا في عمل المؤرخ ، وهو ما حول الذاكرة إلى مجال للإدانة، للاعتراف، للمصالحة، هكذا إذن تتفاعل ثنائية المؤرخ/الذاكرة ليصير عمل الأول ليس مجرد نقل ونسخ للذاكرة، بل ممارسا للنقد، لإعادة التشكل بما يساهم في رسم دائرة "الموضوعية" داخل سياق الأحداث المتوالية والانتظارات المتراكمة. هنا بحسب ريكور تغدو مسؤولية المؤرخ هي تطهير الذاكرة من الشوائب التي ظلت عالقة بها.

إن هذا السعي وراء الموضوعية يقتضي أيضا التفكير في الذات من حيث هي نفسها جزء من التاريخ. فهل من السهل إذن معايشة الماضي وبناء حقيقته دون تشويهه؟ هل بالإمكان تعقل هذا الماضي وتأسيس موضوعيتة كما الحال في العلوم الطبيعية؟ هل التأويل الذي يحكم عملية بناء الحدث يخدم حقيقة الماضي؟.

---

[1] يكفي أن نشير في الحالة الفرنسية، إلى القراءات المختلفة التي رهنت قضية لويس رونو ، حيث تم اعتباره وطنيا قبل أن يتم تشكيل ذاكرة مضادة ترى فيه عميلا للنازية. نفس الشيء ينطبق أيضا على الجنرال بيتان بطل معركة فردان ورئيس حكومة فيشي الموالية للألمان حيث تراوحت صورته بين عميل ورمز وطني.

بالنسبة لريكور يصعب الحديث عن مسألة الحياد والموضوعية ، الشيء الذي يحول عمل المؤرخ إلى بؤرة لاشتغال الذاتية لكنها ذاتية إيجابية. فبأي معنى تصير إذن هذه الذاتية فضاءا لخدمة "الحقيقة" داخل حقل التاريخ؟

لقد سبق أن اعتبر ريكور النص هو كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة، ولأنه كذلك تصير الكتابة عبارة عن إنجاز يمكن مقارنته بالكلام، إنه إنجاز يحل محله ويوقفه بمعنى من المعاني. بهذا يغدو النص أداة لتفجير هذا المعنى. ما دامت الكتابة تحرر نفسها حينما تضع ذاتها محل القول لتعبر بطريقة مباشرة عن قصدية القول. آنذاك يحافظ المكتوب على الخطاب ويجعل منه أرشيفا جاهزا في متناول الذاكرة الفردية والجماعية تنتظر عملية فك شفرتها والبحث عن الحقيقة التي تروم تكريسها. فما السبيل إذن لتحصيل ذلك؟

يقتضي الأمر بداية تجاوز الفصل التقليدي الذي تم تكريسه منذ دلتاي والمؤسس على فكرة التمييز بين التفسير والتأويل، ذلك أن الأول ينصرف للدلالة على طريقة اشتغال عالم الطبيعة، بينما الثاني يتعلق بعمل المؤرخ. بالنسبة لريكور يقتضي الأمر تحقيق التكامل بينهما لأن إقامة التعارض بينهما يفضي لا محالة إلى إقصاء احدهما. هكذا إذن يكون التأويل هو فن الفهم المطبق على تلك التجليات، وعلى تلك الشهادات، وعلى تلك المآثر التي تشكل الكتابة طابعها المتميز. داخل هذا الزوج الفهم/التفسير تتقدم المعرفة وذلك بفضل التثبيت والحفاظ اللذين تخولهما الكتابة.

على المؤرخ إذن، أن يعيش ويتعايش مع مجال اشتغاله، لذلك فهو ملزم بالاهتمام بأوضاع الناس وحياتهم وتحويلها إلى مادة يتم النظر إليها ليس في جزئياتها بل باعتبارها كلا غير قابل للتقسيم، من هنا تتشكل ذاتية المؤرخ كأفق للفهم ، إطارا لمعايشة وقائع الماضي وإعادة بناء السرد، وهو ما دفع ريكور إلى محاولة مراجعة ذلك الفصل الذي ورثه الفكر الغربي بين السرد وغيره من أشكال الفكر عامة والفلسفي منه على الخصوص.

سيدافع ريكور إذن، وضدا على هذا التصور، عن فكرة مفادها أن السرد يشكل جوهر التجربة الإنسانية، وهو ما يعني أن أبرز ما تتسم به هذه التجربة، هو امتدادها في الزمن، وتحولها إلى خبر يحكى ويسرد، ولعل هذا الترابط بين الزمن والسرد هو ما يشكل موضوع الزمن والسرد، وهو مشكل ينتمي بالدرجة الأولى لمشكلة ابستيمولوجيا المعرفة التاريخية. يقود هذا المشكل إلى مشكل آخر لا يقل عنه أهمية، والمتمثل في مدى قدرة اللغة على مجاراة الديمومة التي يتميز بها الزمن، خاصة عندما نقطعها إلى وحدات تعبيرية أطول من الجملة، أي عندما ننظر إليها باعتبارها نصا.

عند هذا فقط يتم اعتبار هذا الأخير محاولة لتفجير الوحدة الزمنية للدلالة، إذ انه هو الوسيط بين التجربة المعيشة وفعل السرد.

إن اتجاه ريكور نحو هذا الأفق حكمه هاجس المعرفة التاريخية بالدرجة الأولى، إذ يمكن القول أن التساؤل عن الكيفية التي يتم بها تحول الحدث إلى خبر، أي عما اعتاد المؤرخون تسميته بالإخبار، كان هو التساؤل الذي وجه فكره منذ البداية، وحمله على ولوج عالم الحقيقة المؤولة. فالحقيقة التاريخية هي في عمقها عبارة عن تركيب بين الكيفيات التي فهم بها الحدث باعتباره فعلا، فالإخبار ليس مجرد نقل لصورة الحدث كما حصل في الزمن، بل إنه عبارة عن تركيب يتحول الحدث من خلاله إلى تاريخ، فالحدث ليس مجرد واقعة حصلت بل إنه مركب التأويلات المتراكمة في الزمن.

يدفعنا هذا التصور إلى إعادة النظر في التصورات المستهجنة للإخبار، إذ يقتضي بالضرورة مقاربته انطلاقا من النظر إليه من مقولة الفعل، أي اعتباره فعلا يحدث تغييرا في بنية الوجود التاريخي على الأقل من ناحية المعرفة التاريخية، وهو ما يستلزم الاعتراف بالدور الذي تلعبه المخيلة في بلورة الحقيقة التاريخية ، وكأننا في مجال المعرفة التاريخية لا نكون أمام إخبار بالحقيقة بقدر ما نكون أمام توظيف لجملة من الاستعارات السردية التي تلف الواقع التاريخي وتحجب عنا حقيقته. هكذا يكون السرد محاكاة للفعل الإنساني من حيث أن كليهما عبارة عن إعادة تصوير للوجود وفق مقتضيات المخيلة الكامنة وراء فعل الإخبار. بهذا المعنى يصير الوجود عبارة عن نص، أي عن خطاب تم تثبيته في أفق تأويله. فكما أن النص لا يحيا إلا بتأويله وتفجير المعاني الممكنة بداخله وفق ما يقتضيه الزمان الذي يسبح فيه، فإن الوجود هو الآخر لا يغدو قابلا لأن يعاش إلا إذا تم الزج به في أفق الفعل الإنساني الذي يعطيه معنى ويجعل منه عوالم ممكنة.

ولكي يحصل ذلك ويتم تحميل النص كل هذه الأبعاد، رأى ريكور في هذا الأخير قدرة على حفظ الكتابة في سعيها لتثبيت القول، وهي بذلك تحفظ الفكرة وتترك بذلك أثرا، يغدو معه النص أيضا مجالا لتكثيف قصدية الكاتب.

قياسا على ما سلف تطرح الإشكالية التالية: هل يمكن بناء علاقة تباعد بين النص والمؤلف ثم المتلقي؟ ألا يمكن اعتبار النص كمتن وكرؤية للعالم وسيطا لتمرير هذه الرؤية بين الذوات بالرغم من التباعد الزمني بينهما؟ ألا يطرح كل ذلك مسألة الموضوعية، وبالأخص إذا تعلق الأمر بمعرفة تاريخية تشكل أرضية خصبة لاستلهام الاستمرارية وبناء الهوية؟

بداية يسجل ريكور أن الانتقال من الشفهي إلى الكتابة ليس محايدا، فالكتابة قتل لحيوية الخطاب ما دام هذا الأخير لا ينفصل عن سياقاته، عن متلقين مفترضين... باختصار الخطاب ينم عن المباشرة، الشيء الذي يثقله بحيوية استثنائية مقارنة بالكتابة التي تبقى عبارة عن كلمات مجردة معدومة الإحساس. لكن مع كل ذلك فالكتابة تفتح أفق التأويل، خاصة مع غياب المؤلف. وهنا تكمن "شرفيتها" إذ في التباعد تكمن قوة الكتابة، فهي أولا تحفظ الخطاب من الضياع بشكل يحوله إلى أرشيف، أي إلى مادة تؤثث الذاكرة الفردية والجماعية، ثانيا لأن الجانب العلائقي بين الكاتب والقراء يتم عبر وسيط الكتابة اعتبارا لمحدودية القول الذي يبقى دائما حبيس متلقين قليلين داخل فترة محددة، عكس الكتابة التي تمنح إمكانية الامتداد لتشمل متلقين عديدين داخل سياقات زمنية مختلفة. من هنا تمنح الكتابة كتباعد إمكانية النقد مادام عنصر المباشرة غير قائم بشكل يمنح إمكانية القراءة وإعادتها كلما احتجنا إلى ذلك.

وفق هذا المنحى تصير الكتابة روحا متجددا[2] ، أكثر من ذلك فإنها تنزع إلى التدقيق، عكس القول الذي يترافق فيه الخطاب مع الإشارة وذلك حتى يتم تضييق إمكانية التأويل، الشيء الذي يجعل المتلقي كمؤول بحاجة إلى مراعاة هذه الوضعية، وبالتالي إخضاع النص للزيادة أو للنقصان بما يخدم قضية النص وموضوعه.

ضمن هذا الأفق، يتحدث ريكور عن القراءة كمستوى عالم لفهم النص، والذي يستلزم التعامل معه كبنية، كنسق، حيث يتم النظر إليه من حيث مكوناته، مضمونه، تفاعلات عناصره. هذه المقاربة هي التي يتم تطبيقها من طرف البنيوية وتفضي في نهاية المطاف إلى إعدام النص وشل حركيته ما دامت تتوخى الموضوعية والتباعد، لذلك فإن طريق التفسير يبقى بالنسبة لهذه المقاربة هو المدخل لبناء حقيقة النص بما يعنيه ذلك من تحويل هذا الأخير إلى موضوع للتملك والتعقل، أي كموضوع يماثل موضوعات العلوم الطبيعية.

إن محدودية المنهج التفسيري هي التي دفعت ريكور إلى الحديث عن التأويل الذي يفتح أمام المتلقي إمكانية بث الروح في النص والتعايش معه واعتباره ليس ماضيا انتهى، بل ماضيا ممتدا في الحاضر مما يمنحه توهجه وحيويته، الأمر الذي يجعل معانيه دائمة الحركة.

لكن ألا تؤدي هذه الوضعية إلى القطع مع الموضوعية، تلك التي ترهن المؤرخ وكذا القارئ للتاريخ؟ ألا يعني ذلك السقوط في الذاتية، واعتبار هذه الأخيرة عائقا أمام بناء الحقيقة؟.

[2] Paul Ricoeur : Essais d'herméneutique II p 211.

بداية نسجيل كون علم التاريخ شكل بؤرة لميلاد مدارس اتخذت من الزوج: الموضوعية/الذاتية مجالا لبناء خطاباتها وإنتاج تصوراتها ، ولعل في الإشارة إلى هذه المدارس أهمية في تمثل مقاربة ريكور، اعتبارا لكون الرجل شكل حلقة وصل بين المؤرخين والفلاسفة، بالنظر إلى طبيعة القضايا التي خاض فيها وأسهم في مقاربتها.

تنطلق المدرسة المنهجية أو الوضعية التي كان كل من ش.ف. لونغلوا وسينيوسبوس أبرز منظريها[3] من فكرة اعتبار التاريخ كعلم قادر على الوصول إلى الموضوعية المطلقة، إن هو اعتمد منهاجا صارما يروم ترتيب الوثائق ونقدها وتنظيم مهنة المؤرخ، فكيف إذن يتم تشييد العمل التاريخي؟

التاريخ بحسب لوغلوا و سينيوسبوس ليس إلا ترتيبا للوثائق يستلزم من المؤرخ أن يبتعد عن مرجعياته الدينية أو الفلسفية، بحيث يتم إخضاع الوثيقة بعد ترتيبها إلى النقد الخارجي (أصالة النص، صاحبه، مكانه، زمانه) ثم الداخلي (تحليل المحتوى، تحديد الظرفية التي كتب فيها..)، ليتم القيام بعد ذلك بعملية تركيبية، وذلك بمقارنة عدة وثائق وبجمع الأحداث المتفرقة في إطار عام (السياسة، المجتمع، الاقتصاد)، يسمح بالتحليل لربط الأحداث بعضها بعض، وتجاوز هفوات الوثائق، فالتعميم باقتراح بعض التأويلات.

من جهته، دافع مارك بلوخ، كأحد رواد مدرسة الآنال الفرنسية[4] ، عن أهمية الفهم في بناء المعرفة التاريخية داعيا إلى انسلاخ المؤرخ عن أحكام القيمة في أبعادها الأخلاقية (الخير، الشر)، عن طريق التخلي عن المسلمات والأفكار المسبقة والعواطف بغرض كتابة تاريخ موضوعي[5]. ولعل القيمة الكبيرة لمدرسة الآنال تكمن في فتح آفاق التاريخ على مجالات ظلت إلى زمن قريب خارجه (الاهتمام بالمناخ، بالعقليات، اللاشعور، الأكل، الحياة، الموت، الكتابة، الإحساس، الهامش (كالمنحرفين) والحياة المعكوسة (الأحلام، المتخيل، الاديولوجيا)...).

أمام هذا التراكم الذي تم تحقيقه على مستوى المدارس التاريخية نعود إلى التساؤل المركزي: أي خيار على المؤرخ أن ينهجه؟

بالنسبة لريكور التصور الشكلي (التفسير) والتأويلي يتقاطعان، لذلك على الباحث أن يقتفي أثرهما باعتبارهما فعلين متكاملين. التفسير يسمح بإدراك الباحث للأبعاد الداخلية، أما التأويل فيفتح معاني النص، وهو ما يقتضي بحسب ريكور جعل النص يتكلم من خلال مضامينه، مفاهيمه، عوالمه،

---

[3]- C.V langlois, C Senguobos : introduction aux études historiques 1898
[4] - Marc Bloch : Apologie pour l’histoire ou métier d’historien 1941.
[5]-إلا أن ذلك لا يعني التهرب عن أخذ مواقف من المشاكل الآنية .

تفاعلاته...بالنسبة إليه اقتحام النص يعني الدخول في حوار معه ضمن سيرورة لا تنتهي للكشف عن مختلف أبعاده، بشكل تجعل عملية النفاذ إليه محصلة لسيرورة تراكمية لا تنتهي. بعبارة أخرى يجب توظيف كل درجات وأشكال الكشف التي يتيحها النص.

بهذا المعنى يتم "الإزالة" التدريجية لكل ما هو عالق من اعتقادات، تمثلات ايديولوجيات .... مادامت أية معرفة محكومة وبالضرورة بمرجعيات تخترقها دون أن نتمكن من تحويلها إلى موضوع للتفكير[6]، لكن مع ذلك فإن قدرة الوعي تبقى قائمة، هذا بالرغم من الصعوبة التي تستلزمها عملية التطهير ضدا على مختلف الأشكال التي تختلط بالوعي وتؤدي إلى تزييفه ، الشيء الذي يجعل الوعي في حاجة دائمة إلى تطهير أرجائه، ولن يتم ذلك إلا من خلال الفعل الذي يمنح للقارئ إمكانية تلمس طريق الحقيقة بشكل يجعل التاريخ والموضوعية يتعايشان في هذا الطريق الشاق من المعرفة الإنسانية.

يقتضي التسليم بهذه المحددات اعتبار حقل التاريخ غير منفصل عن مسألة الانتماء بمعناه الواسع سواء تعلق هذا الانتماء بالوطن، بالجماعة ...لكن عندما يصير التاريخ المكتوب تاريخا معاشا عبر الفعل والانخراط، فإن ذلك يمنحنا إمكانية فهم النص ومجاراة إيقاعه، ذلك أن أي نص زاخر بالحياة، حياة الذين كانوا وحياتنا نحن أيضا[7].

انطلاقا مما سلف يمكن اعتبار الحدث إحالة على عالم وجب الكشف عنه، لذلك فالمؤرخ حينما يخترق النص، فإنه يسعى إلى إعادة بناء حقيقة الماضي، عبر الكشف عن دوافع الفاعلين، عوالمهم، تمثلاتهم...، هنا يصير المؤرخ مثل الروائي لكن مع خصوصية كون المؤرخ لا يهتم بالأفراد، بل بالجماعة، وحتى إذا أعطى قيمة للأفراد فإن هؤلاء يؤطرهم ضمن سياق الكل[8] ، وعليه يتحول الكل إلى وعاء لكشف عوالم الأفراد من حيث هم فاعلون يؤسسون لهذا الكل ويستمرون بفضله.

إن مفهوم العالم إذن ينطوي على مفهوم الأفق أي ذلك الشيء الذي كلما اقتربنا منه ظل بعيدا عن حوزتنا، ومن تم تبقى طاقته دائما عصية، فكل تجربة يطرحها لنا هذا العالم تنطوي على شيء ما هناك، ولكن هذا الشيء يبقى مجرد إمكان، وكل الإمكانات التي تنطوي عليها تجاربنا تشكل ما يسمى بالعالم. هنا يتحد الزمن المعيش بالممارسة، زمن الحبكة والتصوير الابداعي وزمن التلقي بزمن القارئ الذي يتم عيشه.

[6] Paul Ricoeur : essais d'herméneutique II p 363
[7] - Idem p 130
[8] Paul Ricoeur : Temps Récit, T3, seuil 1985 p 266.

إن غاية ريكور من خلال وقوفه على التاريخ كحدث، كزمن معيش ، كعالم منكشف وكرهان هدفه:

أولا – إعادة الاعتبار للتاريخ السابق على مدرسة الحوليات من حيث أهمية الوقائع والأحداث التاريخية وترابطها الزمني.

ثانيا : تجديد عملية كتابة التاريخ من هذا البعد المتعالي الموضوعي عبر تحويلها إلى عملية سرد أحداث وكتابة الأحداث بصورة درامية. نفس الشيء ينطبق على المتلقي الذي ينخرط في عملية حبكة سردية تقوم على الصنعة شأنها شأن السرد القصصي.

وعليه ، ومن خلال وقوفنا على بعض القضايا التي استقطبت تفكير ريكور، يتبين أن الأمر لا يتعلق بموضوعات منفصلة، بقدر ما أن هذه القضايا تتداخل فيما بينها، لدرجة يستعصي على الباحث أن يقارب إحداها بمعزل عن الأخرى. وهذا التداخل يستقي أسسه من طبيعة مشروع ريكور التأويلي الذي ينزع نحو اعتبار الكل على حساب الجزء، وهو ما يجعل كل الانتاجات، التمثلات، الهويات ...، بمثابة رؤى للعالم تتحدد باعتبارها مجموعة دلالية كلية، الأمر الذي يسمح بتحول المعنى، وبالتالي تاريخيته.

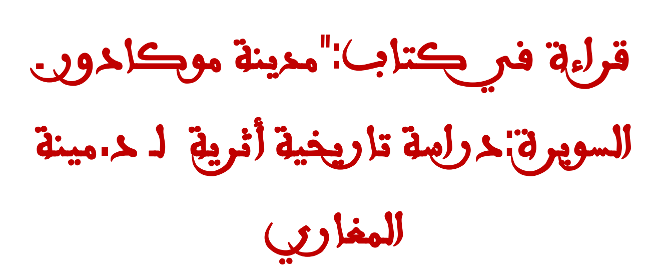
وهنا لابد من التأكيد على التداخل القائم بين النص كأثر مع الايديولوجيا والتاريخ حيث تتوارى خلف هذه المفاهيم إشكالية الموضوعية والحقيقة التي تسعى كل الأنساق والمنظومات المعرفية إلى تملكها.

بذلك، فإن مساهمة ريكور تتغيى وضع معالم للتقريب بين الذات والحقيقة باحثا عن أجوبة لإشكالات الوجود الفردي كما يقدمها الواقع التاريخي. إنه يبحث في المعاني العميقة التي تؤثر في الوجود الفردي في العالم، بدءا بالنص مرورا بالايديولوجيا وانتهاء بتجربة الذات عبر التاريخ، قبل أن تتجلى من خلال السياقات الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والثقافية.

ولكي يبلغ هذا المسعى، اتجه ريكور قبل تفكيك هذه العدة المفاهيمية إلى الدخول في حوار نقدي مع أضرابه من الفلاسفة وغيرهم من مختلف مجالات العلوم الإنسانية، الشيء الذي أسهم في إنضاج مشروع الرجل وفتحه على آفاق معرفية شتى.

قراءة في كتاب







محمد أبيهي
باحث في تاريخ المغرب
المعاصر



صدر كتاب مدينة موكادور السويرة:دراسة تاريخية أثرية للأستاذة مينة المغاري سنة 2006م عن دار النشر والتأليف أبي رقراق، ويقع هذا المؤلف في 655 صفحة، وهو من الحجم الكبير، ويتضمن ثلاث أبواب، وكل باب تحته مجموعة من الفصول بلغ عددها ستة، وتندرج هذه الدراسة القيمة ضمن الكتابات التي تحاول النبش في تاريخ العمران والآثار بالمغرب من خلال نموذج دراسة تاريخية وأثرية لمدينة السويرة موكادور، وهو ثمرة مجهود ميداني ونظري، مكن من استنطاق أوجه المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والاقتصادية وعلاقتها بالظاهرة العمرانية.

استهل الكتاب بمقدمة استعرضت فيها د.مينة المغاري الأهداف والغايات التي وجهت مسار هذا الكتاب، وأبرزت أن الموضوع يأتي لترسيخ مسار كتابة التاريخ الأثري والعمراني للمدن المغربية العتيقة، التي مازالت الدراسات المغربية تفتقر إليها، حيث يرصد الكتاب جوانب تاريخية وأثرية لمدينة الصويرة، وأكدت على على أن موقع المدينة ساهم في خلق نمط معماري ناتج عن تفاعل الموقع الجغرافي مع نسيج المدينة التي شكلت عبر التاريخ منطقة عبور أساسية في المناطق البعيدة، بالإضافة إلى قربها من مراكش، وترد كذلك أن تأسيس المدينة على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله قد جعل المدينة تتوافد عليها العديد من الاثنيات والقبائل:الشبانات/الشياضمة، وتحلل الأستاذة الباحثة اسم المدينة من خلال المقاربة الطبونيمية، وتعطينا العديد من الأسماء:تاموسيكا،أمكدول،الكاريستيول،موكادور...ولكنها فضلت اسم السويرة الذي يحيل على فكرة التحصين، وهي تصغير للسور الصغير حيث تضم العديد من الأسوار.

وفي سياق أخر، تطرقت الأستاذة إلى البعد التاريخي للمدينة والتي شكلت منطقة استقرار منذ العهود القديمة خصوصا ما قبل الإسلام، وأبرزت البعد الاقتصادي للمدينة كمحطة تجارية عرفت تواجد الفنيقيين والقرطاجيين، وتطرقت الى أن المدينة خلال الفترة الإسلامية عرفت ازدهار التجارة القارية وشكلت منطقة عبور في اتجاه الجنوب الإفريقي، وأما الفترة الحديثة فقد تميزت بالتواجد البرتغالي، وقد شيد البرتغال الحصن الملكي، وعرفت المدينة خلال القرنين 18و19م تزايدا للأطماع الأوروبية على المغرب، مما كان له أثر في تبني السلطان سيدي محمد بن عبد الله سياسة قائمة على إنشاء ميناء منفتح على التجارة مع أوروبا لتسهيل مراقبة السلطان للتجارة الخارجية، وانعكس على المظهر المعماري للمدينة.

وقفت الأستاذة كذلك على مسألة المظاهر العمرانية للمدينة من خلال قراءة النقائش الخطية التي تساعد الباحث على التأريخ، وترى الباحثة أن لها أهمية بالغة في معرفة التطور التاريخي للمدينة ولكونها تحمل أسماء المهندسين لأبواب المدينة، وهي متعددة فنجد نقائش الأبواب والبنايات الدينية كنقيشة باب القصبة سنة 1767م،باب المرسى سنة 1770م ،نقيشة القنطرة سنة 1844م، نقيشة السقالة القرن 18م، وكذلك نقيشة باب السبع، وأما نقائش البنايات الدينية فنجد محراب مسجد سيدي يوسف والقصبة القديمة،الزاوية القادرية، بالإضافة إلى نقائش متواجدة في القنصلية البرتغالية وسوق الجديد وأهم المدافع في السقالة.



وفصل الكتاب في الخصائص الحضارية للمدينة، حيث تطرقت إلى أسوار المدينة التي لعبت أدوارا في تحصين المدينة، وحمايتها من الخطر الأجنبي، ومن القبائل المجاورة، ولتأمين الجانب التجاري، حيث نجد أسوار السقالة والقصبة الجديدة التي تضم العديد من المرافق:الأبواب حسب الاتجاهات الجغرافية، وهي تحصينات عكست التمازج الحضاري الذي عرفته المدينة.

أما بخصوص المآثر التاريخية الدينية، فرأت الأستاذة على أنها شاهدة على التعايش الديني فنجد ثلاث بنيات دينية حاضرة بالصويرة:المسجد،الزاوية،الكنيسة، فترد أن العديد من مساجد المدينة تم بناءها في العديد من الفترات، وخضعت لعدة ترميمات، فنجد جوامع تم بناءها في عهد السلطان محمد بن عبد الله التي تميزها الساحات المكشوفة والواسعة، وعرفت المدينة العديد من الزوايا كأماكن للعبادة والوعظ:كالزاوية القادرية،التيجانية،الوزانية، بالإضافة إلى تواجد الطرق الصوفية والأضرحة والكنائس والبيع التي ازدادت بشكل كبير في عهد السلطان محمد بن عبد لله، فالبيع توجد في المنازل غالبا وتخصص لها قاعات:حاييم بنتو،شمعون عطية، كما توجد بالمدينة الكنيسة البرتغالية،وخلصت إلى أن المدينة عرفت بالانفتاح الديني حيث كان اليهود يتمتعون بالعديد من الحقوق الدينية.

وخصص الكتاب دراسة تفصيلية للمرافق الاجتماعية للمدينة كالحمامات والسقايات وقنوات تصريف المياه، فأشارت إلى أن المدينة تعرف وجود الحمامات بالأزقة والأحياء، التي تعتمد على مياه الآبار التي توجد في القصبات والدور، كما أبرزت مشكل المياه الذي ظل أحد العوائق، مما دفع بالمخزن إلى بناء قنوات المياه، مثلا قناة المزوضي التي بناها المولى عبد الرحمان بن هشام، وكما تتوفر المدينة على السقايات العمومية والمرافق الصحية :المارستان والمستشفى الذي تم بناءه لأول مرة في 1902م، ويتواجد به طبيب واحد، كما احتضنت الجزيرة الكبيرة حجرا صحيا الذي مدته 40يوما.

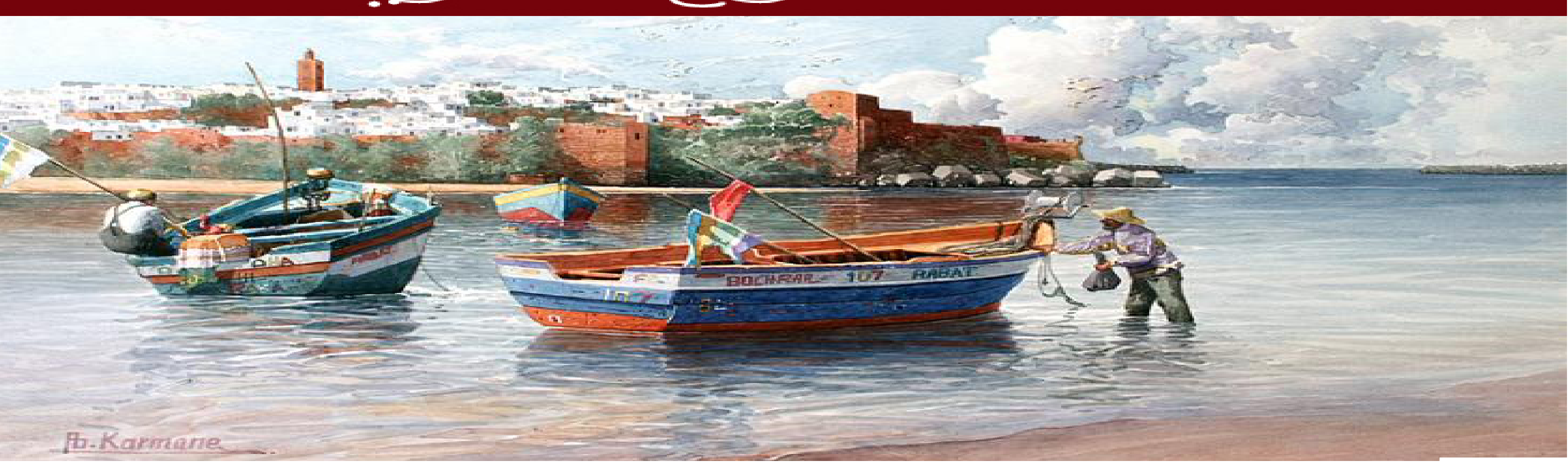
أبرزت الباحثة في هذا الكتاب إلى أن قيمة العمارة المحلية، قد أعطى للصويرة خصوصياتها المعمارية من حيث الدور السكنية الخاصة التي تتميز بالتنوع والتعدد:مثلا دار الصناعة،محل السفن،دار السلطان،دار القائد،دار القنصل...وهي تسمى حسب الشكل والمساحة الذي تتخذه،كما نجد الدويرة،الرياض...التي تتخذ أنماط معمارية حسب الصنف والوظيفة مثلا:دور فخمة سكنها اليهود والتجار والأجانب ودار المخزن ودار المولي ادريس الذي كان مستشارا للسلطان، دار مبروكة، دار أبيهي وأنفلوس...وأما الأبواب فهي قابلة للفتح وعبارة عن مستودعات،

ونجد المصرية فهي غرفة خاصة لاستقبال الضيوف، نموذج دار توفلعز التي باعها لعائلة أفرياط، وبحكم كون صاحبها من فئة التجار فهي تتوفر على مخازن للسلع ومستودعات لتخزيين السلع.

تلك إذن هي أبرز المحاور التي شكلت موضوع الكتاب من خلال إبراز الأهمية المعمارية لمدينة السويرة، وما تتميز به من خصوصيات معمارية، التي جسدت التنوع والتعدد الثقافي للمدينة في علاقتها بمكوناتها الاجتماعية والثقافية، وهو كتاب كشف النقاب عن جزء من التاريخ الأركيولوجي لمدينة الصويرة عبر تاريخها العتيد، ويمكن اعتبار كتاب الأستاذة أ\مينة المغاري مساهمة في دراسة تاريخ المدن العتيقة بالمغرب، وذلك بالارتكاز على مصادر بيبلوغرافية متنوعة ومقاربة ميدانية عملية لاستنطاق الشواهد الأثرية لمدينة الصويرة.



قضايا التاريخ البحري







قراءة في مصادر البحرية من القرن19م

عمر عمالكي

باحث في التاريخ المعاصر

عادة ما يشكو الباحثون من قلة مصادر التي تستقى منها المعلومة المفيدة،[9] ومن قلة المشتغلين في ذلك الحقل، الفريد من نوعه والمختص بفئة من الباحثين، وهذه الصيحات ألفناها في دول العالم الثالث، و صيحة تدل أن هناك فراغ ونقص في المعرفة والبحث وعدم كفاية الموجود والمجهود المبذول إلى حد الآن. ولا نكاد نجد بحثا أو أطروحة لم يشتك أو يئن صاحبها. ويبوح بفواجع وهموم وحرقته على موضوع تعلق به وندرة مادته المصدرية أو استعصائها أو يرفع عقيرته شاكيا من قلة المصادر.

علاوة على ذلك فان حقل التاريخ حقل ملغوم ومقفر لقلة السالكين وانحساره وتذمر الفئة العظمى منه، ومزاحمة مجالات أخرى وتطفلها على التاريخ والقول فيه.

---

[9]) قدمت هذا العنوان كمداخلة في ندوة ، كلية الآداب بنمسيك سيدي عثمان، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2007.

وبما أن العمل منصب في حقل التاريخ، وموضوعه البحر الذي يحيط بثلثي الكون ويضم عدة حضارات ،اختلفت نظرتها إلى هذا الكائن المحرك وتنوعت الاحاسيس ما بين الوجل والخوف، ولم تورد فيه إلا قلة قليلة من المعلومات، وأما البحث فيه فقليل نظرا لما يحدثه صداه من الريبة ومواقف لا تخلوا من القدح والتنقيص من عمل البحري ومجال البحر.

وميدان اشتغالنا يبدو مقفرا من قلة السالكين أو شبه خالي من المشتغلين إلا من أخذ الله بيد وهم فئة تحدت غمار البحث وخاضت مغامرة التاريخ البحري كمن يخوض عجاج البحر وعبابه، طالبا السلامة واللحاق ببر الأمان وتلك فئة وجب ذكرها: الأستاذ عبد المجيد القدوري، ذ حسن أملي، ذة ليلى مزيان ،ذ عبد الإله الدحاني، مقالات أحمد بوشرب، خليل السعداني حول بحارة فرنسا، محمد المنصور،وغيرهم....

إن هذا الميدان حديث ومتناولوه فئة قليلة، ويمتاز بقلة المصادر المكتشفة، خلاف ما وجد من تراث الأسلاف المشتغلين بالبحر وكنانيشهم المتنوعة عنه.والذين أشاروا إلى صعوبة هذا الميدان وفنونه،وقلة المقبلين عليه من التلاميذ المشتغلين بالبحرية وضيق أفق مدارسه[10]؟ ولأن المدرسة المغربية منذ القديم ارتبطت في أغلبها الأعم حول العلوم الكلامية والجدال ولم تولي العلوم الرياضية والبصريات والكيمياء كبير أهمية، وبالتالي حرمان المغرب من تبادل الخبرات، والثقافة البحرية وتجارب البحارة والمدربين، رغم وجود تآليف اهتمت بالعمل البحري والعمالة ما بين معلمين متمرسين. وهنا نسجل ملاحظة أولية تتمثل في المفارقة العجيبة في شكاوينا حول قلة المصادر وتصريحهم حول كثرة التأليف في العمل البحري وتصحيحاته.

إننا نختلف حول الكم لكن نتوحد حول الكيف، فالكتاب المغاربة في عصر الأشراف العلويين يتحدثون عن وجود تآليف كثير، وفساد طرق ومناهجها أو ناقصة المعرفة والكيفية التدبيرية والعلمية،واستهل معظم الكتاب كتاباتهم بها والتصريح بأهمية كتبهم التي ألفوها حول الموضوع، كنوع من الدعاية وإعطاء تآليفهم مزيد قيمة، وسأكتفي هنا بذكر عالمين من المصادر البحرية لتاريخ المغرب، أولهما هو البحار والرايس الرباطي عبد الله ميكاني، الذي عاش ومارس البحر في عهد سيدي محمد بن عبد الله، وكتب كتابه، هذا في عهد المولى سليمان سنة1844/مخطوط بالخزانة الصبيحية. والثاني هو مجهول، وله كتاب: اسمه تأليف في الملاحة البحرية، ويظهر من خلال القرائن التي استقيناها من الكتاب أنه عاش في دولة المولى سليمان وبعده، ولا يزال

---

[10] أشار الضعيف محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي، في تاريخ الدولة السعيدة - تاريخ الضعيف-إلى نماذج فرار التلاميذ وعدم قبولهم في الإشتغال حول الكتابة والتوثيق بالمراسي المغربية.

مخطوطا بالخزانة الحسنية. كما سأتطرق إلى تجربة مسافر بحري من توابع الإمبراطورية المغربية، وهو أبو بكر يوسف بن القاضي الفوتي السوداني. قام محمد المنصور مؤخرا بتحقيقه، بتعاون مع معهد الدراسات الإفريقية الرباط.

لقد استرعتني كتابات الرجلين في العمل البحري أردت أن أرشد إليها من يعمل على تحقيقها أو تدارسها واستخراج المكنون العلمي والمدى المعرفي، وكيف دبر المغاربة البحر وعقلية البحارة ومستواهم المعرفي الذي وجد أن يكون عليه البحري و الرياس، فليست البحرية عمل كل أمي بل ينصرف إليها كل متعلم وضابط للهندسة والحساب وكل من له همة و تبصرة.

والمعلم البحري المغربي حريص على نقل معارفه إلى البحارة وذاك من خلال مجالستهم ونقل المعارف والتجارب إليهم وحرصه على تتبع كل جديد من العمل البحري، كما نجد من الجانب الآخر تمسك البحارة بالمرشدين الرياس واستزادتهم العلم من عندهم في حقول المعرفة المجالية، وكيفية رسو السفن، ومواجهة الأمواج والأدوات البحرية و كيفية استعمالها والصيد وأوقاته...واكتساب الكفاية من خلال التجديد والحرص كل الحرص على التغلب على صعوبات وعوائق البحر.

الرايس عبد الله ميكاني الرباطي:

" أقول وفقني الله وإياكم أني كنت ذات يوم جالسا أتحدث مع بعض إخواني الذين لهم المعرفة بأمور البحر والبحث في هذا الفن وتذاكرت معهم في أمور كثيرة فأشاروا إلي العبد الفقير أن يجعل لهم كناشا لهذا الأمر مما يعرفه من أمور البحر"[11]

فبقدر ما ارتبط البحارة بالبحر وإن الكتابة عنه غير منقطعة ولا متوقفة ، وهذا ما نجده في المصادر المغربية الأخرى -غير مدرجة- وشاعت الكتابة عن فنون الحر وأموره وكثرة العجائبية والغرائبية وفقا لأصول ومرجعيات الواصف واللاقط من رحالة وتجار، وسفراء وحتى أغلب البحارة والحجاج، وترافقت الخرافة والموانع الصادة عن البحر كل هذه الكتابات. التي نقدم لها قراءة متسرعة، لا تف بالغرض في ظل غياب أبحاث كثيرة،هذه الكتابات لم تكن ترضي البحارة المهرة وبالتالي إعمال العقل لتجديدها وتصويبها كلا أو جزءا.مما يجعل الحديث عن الندرة- التي نحس بها- عمل مؤقت ومرفوع إلى حين، وبالتالي سنحاول أن نبحث ونميط اللثام عن الجديد ولو استعرننا نصوص خارج السياق واستعنا بها .

---

[11] لواقح الأسرار في حديث السفر و البحر في صناعة الرياس، المقدمة.

في سنة 1844 كتب ميكاني لواقح الأسرار بعد تقاعده عن العمل البحري وكبره، وهو الذي خاض غماره وتعرض لأهواله[12]

وصف المصدر:

كناش بخط مغربي جميل ومقروء،قسم إلى 12 بابا ومقدمة.لغته معربة ومدرجة وقاموسها من الألفاظ البحرية المتداولة في المتوسط بين الحضارتين الجنوبية والشمالية و الأطلنتي وما هو مشاع عند العثمانيين.

تناول فيه مجموعة من القواعد التي يجب إتباعها من قبل الرياس والتمكن من ها ومعرفتها حتى يسهل عليه السير والتوقف بالسفن وإبحارها.وكان الغرض من عرضه هذا هو انتفاع العامة والبحارة بالسفر البحري ، ويحمل السلامة للبحار ويرشده إلى العمل العقلي التطبيقي، وفرض التعلم والمراس الدائم في الخدمة البحرية، والعمل اليومي على ظهر السفينة والتعلم الذاتي ومرافقة الكتب النافعة، وترويض العقل بالحساب .وأرفق ميكاني كتابه بجداول ومقابلات حسابية ومعادلات حتى لا يجد البحار صعوبة ،وسهل عليه المغمض من اللغة بالكتابة بلفظ دارج وعامي، في أغلبه. عمل الرايس على التعريف الجغرافي والفلكي وضبط الاتجاه والعرضي والطولي، والرؤوس والموانئ المغربية والأوربية، ومثيلتها من الساحل الإفريقي وجزر لاص بالاماس والأصور والخالدات مرؤوس مجاورة للمغرب وأخرى بعيدة كالجزر الانجليزية الأطلنتية.

ويتبين سواء من اللغة والاسماء أنه أعتمد على معارف المدرستين الاسبانية ومدرسة جبل طارق ويظهر ذلك من خلال استعماله ألفاظ اسبانية لتسمية المناطق أو الادوات مما يجعل طريقته تنحو نحو المصدر الاسباني وهو ما نجده في هذه الكناشة. وتدفع الباحث المحقق إلى البحث في هذه الطرق بهذه اللغة أو بلغات الايبيريين القشتالية والاركونية ثم البرتغالية.

كناشة المجهول، تأليف في الملاحة البحرية:

كناشة ينيف عن500صفحةمعتمدين على النسخة السادسة. كتب بعد سنة 1841م لإشارة وردت فيه " واقتصرت هنا في القول على أن الأمثلة الواردة في هذه النسخة قصد بها توضيح القواعد الخاصة بالفرع الفلكي أخذت سنة 1841"[13]

---

[12] يذكر الضعيف أن الرجل تعرض للأسر من قبل الأوربيين وتعرض كذلك لعقوبات سلطانية ،كما يذكر غيره أنه عمل بالرباط فضالة و العرائش وتيط بأوامر سلطانية وكان ممن يسقون القمح المغربي خفية للبرتغال والأسبان بدكالة.

[13] المجهول تأليف في الملاحة البحرية، ص2.

فالكتاب في عمومه مجموعة من النقول الميسرة والمنقولة من مصادر مختلفة أضفى عليها صبغة العلمية واستحسنها علما أن أصوله المعرفة تمتح من المعارف الانجليزية في الميدان البحري فاستعمل بكثرة ألفاظهم ومعارفهم.وقد أشار إليه المؤلف بنوع من الافتخار والدعاية لمؤلفه:

"فلا أزال ملتقطا لما يلي هذه النسخة كل تبديل وقع وإجادة سمح بها طول التجربة...في علم البحر متصل التلقي بالقبول الذي قد حصل له إلى يوم من أجلاء الخاص والعام من أهل انجلطرا"[14] نعم التجربة المغربية حاضرة في العمل البحري ومعارف الجيران تتزاور[15] بينهم ولا تعرف الحدود والتميز الحضاري أو الثقافي، الذي يحصر هذا الطابع عند قوم دون غيره.

والباعث على التأليف البحري عنده هو لما رأى من حاجة البحارة بالمغرب إلى معارف تقنية ، ومحاربة للنقص المعترض:

"لما كان سنين كثيرة مضت تكلف أناس لتعليم من اختص بأمر البحر عرض لي غير ما مرة أن شكوت بأن جل الموجود من تأليف العمل في البحر وإن كثرت إشاعتها في سائر الأقطار فاسد غاية الفساد مختل في أجزائه[16]."

المعارف والمصطلحات العلمية والجغرافية والمقاييس المدرجة غنية وموثقة، تحتاج إلى معرفة بعلم الرياضيات - خاصة اللوغريتم- والهندسة ومعرفة علم الفلك. و ما يتوجب على الباحث في تاريخ المصادر المغربية قوله في إظهار هذه الكتابات البحرية، هو أن معظم أصحابها قد مارسوا البحرية ومنهم من عرف عنه الرياسة والتفوق. وطول التجربة هو بمثابة مفتاح الكتابة في أمور البحر والتعريف به وباحتياجاته، وهنا نجد أن المدرسة المغربية منظمة كانت أو غير منظمة سعت إلى بسط المعرفة البحرية وفق منظور وطني وأخلاقي، بمحاربة الجهل وحماية للأرواح وتنظيم الملاحة.وعلم معرفة سير السفن البيت القصيد في عمل البحارة وما يعترضه من رؤوس البراري وصفائح البلدان والجزر وحالات المد والجزر إضافة إلى علم الآلات كالبوصلة "بيت الهابرة" والاسطرب[17] والكامل ، ووقت صعود البحر وهبوطه ، وحاجة البحري اليومية، وإن التقت مع بعض العلوم المستعملة في المجال الديني كمعرفة أوقات الصلوات وحلول القمر ومطالعه،لا ينفي أهمية ممارسة هذه المعارف في المجال البحري. وعليه فالكاتب يشير إلى كون المدرسة البحرية ومعارفها والعمل البحري بالمغرب في هذا الوقت، مقنن وله أهله المختصون والذين يعتنون به

---

[14] نفسه، ص2.
[15] نفس الشيء قال به، بروديل فرناند في المتوسط ، حين حديثه عن القلاع والآلات المستعملة في البحر المتوسط بين العالم الإسلامي والأوربي.
[16] تأليف في الملاحة البحرية ،المقدمة.
[17] تعددت الكتابات المغربية حول العمل بالإسطرلاب والجيب والظل، لمعرفة أوقات الصلاة...وتمتاز هذه الادوات بالتجدد ولا تخلوا المكتبة الوطنية من تآليف في هذا الفن.

ولهم مشاركة فيه ودائمي البحث عن الاستفادة والانفتاح على غيرهم. لقد كان الغرض من المدرسة التي يتحدث عنها المجهول هو تعليم المغاربة شؤون البحر وكيفية سير السفن وبعثها وانتفاع الطالب البحري بالعلوم العقلية ويساهم في كثرة وتامين التجارة البحرية المغربية، وتعويد التجار على الطريق البحرية.

القراءة التي نقدمها للكتابة البحرية من خلال النموذجين لا تكفي لسد الفراغ في هذه الدراسة، وإنما نستخرج منها ما يفيد التاريخ البحري:

- اهتمام المغرب بالتعليم الملاحي وتنظيم الرياسة البحرية، وتقعيدها تقعيدا صحيحا.

كما نسجل حرص الرياس المغاربة على إعداد الخلف وجلب المنافع العلمية إلى البلد، ونقل معارف الجيران ومن لهم سبق في البحرية وملاحتها اسبانيا وانجلترا.

- التنوع المعرفي للبحرية المغربية غنى معرفي لحظي، لم يكتب له الظهور.

- المدرسة المغربية البحرية، مدرسة منفتحة على ثقافات متعددة ومتصارعة،مع غياب المدرسة العثمانية وتأثيرها معرفيا[18]. في المدرسين المغاربة .

*** السوداني يوسف ابن القاضي الفوتي التمبكتي،في شكاية الدين المحمدي، وابراهيم التادلي، في زينة النحر بعلوم البحر.**

يمثلان جابا معرفيا فريدا من نوعه إذ علقا على رحلتهما الحجية على ظهر السفينة ما بين الإسكندرية وتونس و العدوتين،الأول(السوداني) تعبيرا دينيا أخلاقيا واصفا الرياس بالجهل الديني وملاحظا على الطقوس الدينية البحرية الممارسة بالمغرب وسواحله،ملاحظات قدحية . مما يشكل في نظرنا نوعا من التأريخ لحياة البحارة على السفن والهيئة العامة لمجتمع المراسي، وعوائدهم ومواجهة الطبيعة.كتبه بدافع النهي عن المنكر والأمر بالمعروف،أيام السلطان مولاي سليمان. وأما الثاني(التادلي) الحاج على ظهر سفينة فيصفها وتركيبها و طاقمها...الشيء الذي يسمح لنا بتكوين فكرة عن البحرية المغربية والبحارة وعامة السواحل في العالم الإسلامي، حتى لا يشكل المغرب استثناءا. ولا يمكن للمهتم بأمر البحرية نسيان هذين المصدرين.

لقد قدم من سبقنا لبعض الكنانيش،"كناشة في أمور بحارة العدوتين" قدمها عبد المجيد القدوري في المغرب والأطلسي، وفي المغرب وأوربا مسألة التجاوزق15/ق18. وأحسن فيها الكلام والقول بعد

[18] كان للبحارة والرياس العثمانيين والجزائريين فضل كبير في تدريب رياس وبحارة أو قرصان مغاربة في الرباط وتطوان وغيرها لكن لم يتطرق الكناشان إلى نوع التداريب ولا المهارات الملقنة أو المعارف المبثوثة؟

قول من له الفضل لغو فقط، ولا هجرة إليها مني بعدما فتحها الأستاذ. وأحببنا التذكير بها فقط هنا وكما تقول العرب ، إنما يقطع قول هجيرة كل قول.

وهي كناشة إحصائية اعتنى بها الامين عبد الهادي العسري، القائم على شؤون هذه المرسى وعمد إلى تبيان المحصلة المالية(أموال) لمادة القشينة[19] وتطرق باستفاضة عبر تقريره المالي إلى ذكر أوجه المصاريف والمستفاد. أو ما سماه "دخل مرسى العدوتين-الرباط وسلا- من عام1183/1769م" ويشتمل هذا السجل على قائمة البحارة، ومنن السلطان عليهم...وهو بهذا يعبر عن الموارد المالية المتولدة من مراسي والمنقولة إليها من الداخل والخارج على حد سواء .وعن السياسة التدبيرية المالية والاهمية الاقتصادية لهذه المراكز الامامية في النشاط التجاري والانساني ثم ربطه بالعمل السياسي والسياسة الداخلية والمعاملات الخارجية للمغرب. غير أن قراءة هذا المصدر يعطينا لمحة وتشخيص واضح عن طريقة الايداع والتدبير المالي ودور الامناء والجهاز الوظيفي والطاقم البشري في الموانئ. فهذا الكناش مهمته تبرير مصير الاصول المالية المودعة ببيت المال خلال 43سنة. هذه المصادر المتنوعة- وإن اقتضى المقال التطرق في عجالة إلى هذه النماذج فقط – ولو اردنا التوسع فلن تكفينا عدة صفحات لتدبيج أغلبها. وقد سبق للأستاذ حسن أملي أن قدم قراءة في زينة النحر بعلوم البحر للتادلي[20]، وهذا المخطوط تحول من كتاب عجائبي إلى تقديم علمي للسفينة تاريخها.

لا غرو أن تتشابه دواعي الكتابة عن البحر المغربي ونشاطات بحارتهم ونبوغ أهلها من خلال نماذج القرن التاسع عشر الميلادي، تشابه الحجاج فيما بينهم من حيث الباعث واختلافهما من حيث النتيجة، ان تتباين نظرة الكتاب المؤرخين للبحرية المغربية باختلاف ثقافاتهم، أو مناطق عيشهم التي ترخي بظلالها على الاحكام والتصورات. ولهذا نجد التادلي تحدث عن السفينة وأنواعها والمأكولات و الأشرعة وكيفية السير بينما الفونتي، قام بجرد المنكرات والبدع التي يقع فيها أو سارت بين البحارة (كطقس اليومي) أو اعتبار الرياح، المسمى بلغة الرياس "البوب" وهو بمثابة الإله الذي يقوم بتحريك السفن الشراعية، كما اشار إلى واقع حال المرأة على السفينة، وقانون بعض الرياس بمنع قراءة القرآن "القراءة الممنوعة"[21]، كما بين طرق الاغاثة والانقاذ أو النجدة التي تتم بطرق اسطورية أو تبنى على معتقد خاص، تسمية الرايس والسفينة، ومجال الإبحار.

---

[19] مادة نباتية تخصص لصناعة الصباغة

[20]) في مجلة المناهل.

[21] لو نظرنا في ما قدمه عبد القادر السودي ،في رحلته الكبرى، طبعة الشراطين فاس الحجرية.لقلنا أن النمط الذي تحدث عنه الفونتي مخالف لما قام به الرياس الهولنديون معهم.

كل هذه القراءات الخاصة بكل نموذج وإن اختلفت المنطلقات والمرجعيات أو اتحدت المسارات والوظائف (الرياس) بين عبد الله ميكاني الرباطي، والمجهول اللذين يتحدان في المنطلق ويتجلى ذلك في حرصهما على التكوين الخاص للرياس وممتهني البحرية والابحار وجعل السلامة عنوان وهدف الابحار تهممهما بحسن التكوين في فن البحرية كأكبر هدف واسمى نتيجة. فإن غيرهما من المصادر المذكورة إنما يتحدث بعين الرحلة والراكب الذي يمزج بين الالف القاري أو العادة التي نشأ عليها. وبين مراعاة التقاليد والمعتقدات أو إعمال العقل والمقارنات بين المغرب وأوروبا، في صناعة البحارة والسفن .

نعم نشكو من قلة المصادر وإلى جانبه نجد قلة الباحثين في المصدر التاريخي البحري للمغرب ومحيطه الذي يشكو الفراغ ،إن المتتبع للبحث التاريخي ليقف عند نتيجة اهتمام أغلب الاستوغرافيين بالبحث في تاريخ الاقتصاد والمجتمع والساسة، لكن ايما باحث سيقف بجلاء متحسرا عند ذكر الاحداث التاريخية المتعلقة بالبحر وقد ينكر ذاته بادعاء وجود تاريخ بحري، كحقل اهتمت به البشرية منذ القديم لكن ظل غائبا لسنوات طوال عن البحث والمعالجة من قبل أغلب الباحثين.

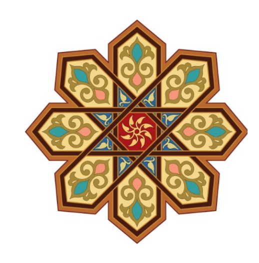
إن مصادر التاريخ البحري في حدود ما توصلنا إليه لا يقتصر على الكنانيش المغربية الخاصة بهذا الغرض، سيما أن الخوض في ما يتعلق بالأمور البحرية نادر إلا ما حملته الاتفاقيات والاوفاق الدولية وصدر حولها من ظهائر، وللوصول إليها نهتدي بشكل بأرشيفات و التقارير القنصلية والجاسوسية، التي تعددت أوجه استعمالها لكن البحث قل من هذه الناحية وكثر تعبه-والبحث التاريخي كله تعب- مما جعل الباحث يوجه جهده غلى حقول أخرى.

تاريخ الجنوب المغربي





القوانين العرفية الأمازيغية: آيت باعمران أنموذجا



حفيظة بوحسي
طالبة باحثة
كلية الآداب ظهر المهراز- فاس

تشكل الأوفاق العرفية إحدى أهم الآليات التي ثم إعتمادها لتثبيت الأمن والنظام داخل القبائل المغربية، حيث كانت القبيلة تستمد قوتها وشرعيتها من خلال سنها لقوانين وأحكام يكون مصدرها من العرف والشرع معا، إلا أن الإشكالية التي كانت تفرض نفسها بقوة داخل المجتمع القبلي وتؤرق فقهاءه وعلماءه هي مدى موافقة تلك الأحكام العرفية للشرع، الأمر الذي جعل أجوبة الفقهاء تتضارب حول هذا الموضوع فمنهم من يراها بدعة مستحدثة خاصة ما كان يفتي به فقهاء المدن، ومنهم من يجيز هذه الأحكام العرفية وبالخصوص فقهاء البوادي([22])، ولعل مرد هذا الإختلاف يعود لكون فقهاء المدينة يعيشون في مراكز حضرية تعرف تمركزا سياسيا وإداريا لمؤسسات الدولة وبالتالي وجود قضاة يطبقون أحكام الشريعة في كافة مناحي الحياة العامة، في

---

[22]-رحال بوبريك، **دراسات صحراوية، المجتمع والسلطة والدين**، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص: 131.



حين يعيش فقهاء البوادي بعيدا عن المركز الشيء الذي يجعل هذه القبائل تحتكم لجماعاتها التي تستند إلى أعراف يكون بعضها مطابقا للشريعة وبعضها الأخر قد يخالفها.

وتعد قبائل آيت باعمران([23]) إحدى القبائل التي عرفت بنهجها للقضاء العرفي إلى جانب القضاء الشرعي، وتمكنت إلى حد كبير من تسيير نظامها الداخلي في مراحل الأزمات، الشيء الذي مكنها من إحداث قضاء عرفي متميز، وما ساعد على إستمراريته إلى عهد قريب هو حفاظ الحماية الإسبانية عليه كنموذج للتقاضي بين الناس في هذه المنطقة، وكمثال على ذلك سنقدم أوفاق عرفية لقبيلة أيت بها ويحيا([24]).

وبما أن فرنسا أقرت هي الأخرى بشرعية القوانين العرفية في منطقتها، فإننا سندرج كنموذج لذلك ما عرفته قبيلة اكيسل([25]) باعتبارها من قبائل ايت باعمران إلا أنها خضعت للسيطرة الفرنسية لكونها نقطة فاصلة للحدود الإستعمارية في حين أن باقي التراب الباعمراني خضع للسيطرة الاسبانية، وهو ما تشير إليه اتفاقية تحديد الحدود بين الدولتين" **(...) ويومه توجهنا لاكيسل واباينو الذين نزل بهما عسكر فرانصيص بمقتضى الإتفاق الواقع مع ايت باعمران المشار فيه أنه بمقتضى الاتفاقيات الواقعة بين الدول تكون قسمة من ايت باعمران في المنطقة الفرنسوية(...) ولأجل المخالطة السياسية بين الدولة الفرنسية والدولة الإسبانية وقع هذا التمييز الحدود نهائيا بين المنطقتين، أما منطقة الدولة الإسبانية فكانت محدودة من قديم بين الدول وهي طرفا من البلاد من واد نون وواد سيد محمد بن عبد الله طولا أما العرض فقدرها خمسة وعشرون كيلو مترا من البحر وحيث ذكر في الاتفاق بينكم وبين المخزن أن الباقي من ايت باعمران الذي سيكون في المنطقة الفرنسوية"**([26]).

---

[23]-اتحادية قبلية مكونة من 7 قبائل هي: أيت أخلف(وفيها فخذان: إدبلا ويوسف و إد براهيم ويوسف)، أيت النص(وفيها ثلاثة أفخاذ: أيت لولوو أيت وملان وأكرامن)، أيت عبلا(وفيها أربعة أفخاذ: إد حمو وإد عيسى وإموكاين وأيت باها وومومن)، أيت يعزى(وفيها فخذان: إد بلعيد وأيت ودار)، أيت لخمس(وفيه أربعة أفخاذ أصلية وهي: أيت إيسيمور وأيت اعلي و أيت أيوب وإد موساكنا و ثلاث أفخاذ أجنبية هي إداوسكوم والسماهرة وأيت يعلاتن)، إمستيتن (وفيها أربعة أفخاذ وهي إد شعيب وأي تدريس وإبيكاتن وإمغان)، صبويا (وفيها أربعة أفخاذ وهي: إد علي وعمر و إد عبلا وبراهيم وإد ياكو وإزناكن)، فانسان مونتاي، **تقييدات حول إفني وأيت باعمران**، ترجمة هيبتن الحيرش، الطبعة الأولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2014، صص: 44-51، تقع منطقة ايت باعمران في جنوب غرب الأطلس الصغير الغربي، ممتدا بين خطي العرض: 9°و50 و10° و30، وبين خطي الطول 29°و35وعلى مسافة تقارب 1500كلم2.

[24]-كانت تشكيلة ايت باعمران خلال نهاية القرن التاسع عشر مكونة من لفان متصارعان هما: لف **ايت بوبكر** الذي يضم أيت إخلف، أيت النص، إمستيتن، أداوسكوم، لف **إد باها ويحي** الذي يضم أيت الخمس، اصبويا، أيت عبلا، أيت يعزى، فانسان مونتاي، **تقييدات حول إفني** ...، مرجع سابق، صص:53-54.

[25]-هي إحدى القبائل المنضوية تحي اتحادية ايت باعمران، لكنها خضعت للحماية الفرنسية إلى جانب ابابنو وغيرها.

[26]-وثيقة خاصة توضح الحدود بين الحكومتين الاستعماريتين فرنسا واسبانيا بمنطقة ايت باعمران.



هذه المعطيات تدفعنا للتساؤل عن ماهية العرف في هذه المنطقة، وعن الكيفية التي نظمت بها الحياة الإقتصادية والإجتماعية وفقا لهذه النظم العرفية؟، ثم ماهي أهم الآليات والوسائل الجزرية التي ثم إعتمادها من أجل تأديب الخارجين عن هذه القوانين؟.

1.نشأة الأعراف القبلية بالمغرب.

عرفت القبائل المغربية أعراف متعددة ومتنوعة منذ القديم ، وإن كانت تختلف من منطقة إلى أخرى حسب البعد أو القرب من المراكز العلمية ، فقبائل الشمال مثلا لا تعرف أثرا قويا وبارزا للعرف نظرا لاحتضانها للعديد من الأسر العلمية ، و لقربها من العواصم العلمية، في حين كانت قبائل الجنوب تعتمد على العرف بشكل كبير في تنظيم مختلف أمورها ، والسبب لا يرجع لكونها لم تعرف أسرا علمية كقبائل الشمال، لأن تاريخ المنطقة يشهد على أنها عرفت العديد من الأسر العلمية التي كان لها دور كبير في إنشاء مراكز علمية بالمجال ، ولها من الإشعاع ما أهلها لتخرج علماء من العيار الثقيل، بل السبب يكمن في بعدها عن المراكز العلمية، ما جعلها تعرف مزاوجة بين القضاء العرفي والقضاء الشرعي.

فكانت القبائل التي تأتى لها الإتصال بالحواضر تطبق الشريعة الإسلامية في كل أحكامها، بينما تركز العرف الممزوج بالفقه الإسلامي في الصحراء والمرتفعات، حيث عرفوا بالتقاضي حسب النوازل الجنائية والمدنية والأحوال الشخصية المستندة على الأعراف، وكانت هذه الأعراف تدون في سجلات يتم الرجوع إليها عند كل نازلة وعند عدم وجود شبيهة لها في هذا السجل يتم الإجتهاد في القضية الجديدة التي يدون حكمها هي الأخرى في السجل الموروث([27]).

كما حرصت الدول التي تعاقبت على حكم المغرب على الإبقاء على العوائد البربرية التي لا تعارض الشرع (28)، الشيء الذي جعل بعض القبائل البربرية تتمسك بتعاليم الإسلام رغم عوائدها، بل إنهم يصرفون أموالا طائلة على قضاة دائمين، كما هو الحال في بني زروال وشيشاوة وتنمل والريف، غير أنه أحيانا حدث هذه القبائل وفي بعض الفترات التاريخية التي انعدم فيها قضاة شرعيين أكفاء إلى تحكيم جماعة من الأعيان الجاهلة بالشريعة، والذين يصدرون أحكامهم حسب رأيهم، فتكون لديهم عبر تعاقب الأجيال أعراف خالفت أحيانا تعاليم الإسلام ([29]).

[27]-عمر عبد الكريم الجيدي، **العرف والعمل في المذهب المالكي، ومفهومهما لدى علماء المغرب**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1982، صص:218-219.

[28] - عبد العزيز بنعبد الله، **معطيات الحضارة المغربية**، الجزء 2، دار الكتب العربية، الرباط، 1963، ص: 40.

[29] - عبد العزيز بنعبد الله، **معطيات الحضارة...**، مرجع سابق، ص: 41.



أطلق على هذه الأعراف ألفاظ عدة تختلف حسب المناطق، فسكان الأطلس يطلقون عليها لفظ "أزرف" أو "أبريد" الذي يعني الطريق، في حين يطلق عليها سكان سوس "قانون الألواح" ويسمى أصحابها "انفلاسن"([30])، واللوح عبارة عن قوانين تتعلق بعقوبات مالية ضد أي مس بالإنسان وماله وعرضه وشرفه، أو تعريض الأمن الداخلي والخارجي لأي خطر، وهناك بعض القبائل تسمى رسومها العقارية ب "تالوحت" خصوصا وأن العرف قديما في هذه المنطقة كتب على اللوح([31])، لأن السبب كما يبدو هو عدم إنتشار الورق في ذلك الوقت، خاصة في مثل هذا الإقليم([32])، إلا انه وللأسف لم يتم العثور على جميع الألواح المحررة لضياعها، وأقدم لوح عثر عليه يعود إلى سنة 1498م([33])، والذي يخص حصن "أكادير أوجاريف"، وهناك لوح أخر لمسجد الخروبة بأيت وافقا المؤرخ ب 1569م([34]).

غالبية القوانين العرفية تشمل النظام القبلي، والقضاء التحكيمي، والأحكام الخاصة بالعقوبات الزجرية، والقتل والزنا والسرقة، وأحكام الزواج وأحكام الإرث والأراضي والعقود والمداينات([35])، لكن ما يلاحظ على من يتمسكون بهذه الأعراف أن بعض هذه القوانين يخالف الشريعة، خاصة ما يتعلق بقضايا المرأة، وفي ذلك يقول علال الفاسي في كتابه النقد الذاتي" **المرأة فيما يسمونه بالمناطق العرفية ليست لها أدنى حرمة ولا كرامة، (...) ولا يعتد بها إلا في المتاع والزينة"**([36]).

إلا أن هذا الأمر لا يسري في جميع المناطق، فهناك قبائل أعطت دورا للمرأة ولو كان بشكل ثانوي كما وجد في ألواح جزولة بسوس، إذ كلفت بتموين إمام المسجد وأساتذة المدرسة، وذلك لم يمنع من ظهور نموذج ناذر للمرأة المتعلمة كعائشة الجشتيمية التي ذكر أنها من معارف البلد بتافراوت([37]).

---

[30]-هي كلمة أمازيغية تعني الأعيان الذين يتولون أمر القبيلة في المسائل التشريعية، عمر عبد الكريم الجيدي، **العرف والعمل...**، مرجع سابق، ص:221.

[31]-أحمد أرحموش، **القوانين العرفية الأمازيغية، إيزرفان إيمازيغن**، الجزء الأول، مطابع أمبريال، الرباط، 2001، ص: 72.

[32]-امحمد العثماني، **ألواح جزولة والتشريع الإسلامي، دراسة لأعراف قبائل سوس في ضوء التشريع الإسلامي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،2004، ص:101.

[33]-أحمد أرحموش، نفسه، ص: 72.

[34]-امحمد العثماني، نفسه، ص:105.

[35]-عمر عبد الكريم الجيدي، نفسه، ص:221.

[36]-علال الفاسي، **النقد الذاتي**، ط 1، 1952، بدون دار النشر، ص:261.

[37]-أحمد أرحموش، نفسه، ص: 75.

2.القضاء العرفي الباعمراني

سبقت الإشارة إلى أن "انفلاسن" هم الأعيان الذين يتولون تطبيق المسائل التشريعية ويشكلون ما يسمى"بايت الربعين"، الذي كان يرأسه أحد أعيان القبيلة المنتخب من طرف الجماعة خلال حفل تكريمي، ويختلف عدد انفلاس من قبيلة إلى أخرى، لكنه يبقى موحدا داخل القبيلة الواحدة، كما في مثال جماعة ايت بوبكر التي اتفقت سنة 1871 على حصر عدد ممثليها في أربعة وعشرون عضوا، بحيث يكون من نصيب كل ربع من أرباع القبيلة ستة مناصب داخل مجلس إنفلاس([38]).

تدون الأوفاق العرفية في صورة عقود تحمل جميع الشروط التي من شأنها أن تضفي على العقد الصبغة الشرعية، من إثبات أسماء الشهود وعلاماتهم أسفل العقد، وذكر اسم الجماعة المصدرة للوفق، مشفوعا بأسماء الوحدات التي تشكلها، وقد يعرض الوفق بعد تحريره على نظر أحد القضاة قصد المصادقة على صحة مضمونه ويكون عقدا ملزما لجميع من وقع عليه الإشهاد([39]).

لم تكن الأوفاق العرفية التي يصدرها إنفلاس جامدة البنود، كما يشير الى ذلك علي المحمدي الذي تتبع بعض أعراف قبيلة ايت بها او يحيى وخلص إلى أن القضايا تكون قارة بينما تتغير قيمة التعويض وقدر الأنصاف، وأورد مثالا على ذلك من أن القتل وارد في سائر الأوفاق إلا أن التغير الحاصل يكون في ملابسات ارتكابه وفي تحديد القدر المالي للدية وكذا قدر وشكل الأنصاف([40]).

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن ونحن بصدد إستعراض حيثيات سير القوانين العرفية بايت باعمران هو كيف كان يتم فرض هذه القوانين؟.

يجيب الأستاذ علي المحمدي المتخصص في تاريخ ايت باعمران قائلا: **أن الجماعة سواءا كانت من قبيلة ايت بها او يحيى أوايت بوبكر تستند إلى الضغط المادي كوسيلة لجعل أعراف القبيلة نافذة المفعول، والذي يترواح بين الغرامة والأنصاف والعشاء، فالغرامة يقصد بها قدر مالي يطالب الجاني بتسديده تعويضا للمعتدي عليه، أما الأنصاف فكان يقصد بها ذعيرة نقذية كان يلزم بأدائها لايت الربعين كل من خرق عرفا من أعراف القبيلة، في حين أن العشاء هو ذعيرة بالمال العين والتي تتمثل في تقديم الجاني وجبة عشاء لايت الربعين"** ([41]).

---

[38]-علي المحمدي، **السلطة والمجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران**، مطبعة أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، صص: 55-56.
[39]-نفسه، ص:57.
[40]-نفسه، ص:59.
[41]-علي المحمدي، **السلطة والمجتمع...**، مرجع سابق، ص:67.

لا يشكل الضغط المادي وحده الوسيلة الوحيدة لفرض احترام أعضاء القبيلة، بل كان يرافقه ضغط معنوي يتمثل في اليمين التي كانت الهيئة المشرعة في القبيلة توليها أهمية خاصة كوسيلة من وسائل إقامة البينة، والذي يميز فيه بين اليمين الفردية الذي يؤديه أحد أطراف النزاع واليمين الجماعية التي يؤديها المتهم بمعية عدد من أقاربه([42]).

إذا كانت هيئة إنفلاس تختص في البث في أمور القبيلة أو في علاقتها مع قبيلة أخرى وكان الأشياخ يختصون في النوازل التي لها ارتباط بالمعاملات الخارجة عن نطاق الملكية العقارية([43])، فما الذي بقي للقضاء الشرعي ليبث فيه؟.

كانت القضايا التي تعرض على نظر الفقهاء تتمحور حول اقتسام أو تفويت نوع من أنواع الملكية العقارية او حول رابطة الزواج وما يمكن أن ينتج عنها من مشاكل([44])، وكان القضاء العرفي حاضرا بجانب القضاء الشرعي في تنفيذ الأحكام التي يصدرها هذا الأخير، بمعنى أن العرف كان يشكل النواة الأساسية التي يتم التحكيم بواسطتها في المجتمع الباعمراني، لكن ذلك لا يعني أن القضاء العرفي يعلو عن القضاء المخزني الذي يشكل الهيئة العليا التي يتم الاحتكام إليها عند الاقتضاء([45])، فرغم إعتراف هذا الأخير بالأعراف إلا أنه خص لنفسه دور تعيين القضاة والقياد الذين يبثون في الغالب في النزاعات المستعصية على القضاء العرفي، وهذا يظهر لنا بجلاء أن السلطة القضائية تتوزع بين القضاء العرفي والقضاء الشرعي والقضاء المخزني لكن الغالب في التحكيم هو القضاء العرفي الذي تمكن من فرض سيطرته على المجال الباعمراني .

استمرت الأعراف في فاعليتها حتى بعد فرض نظام الحماية الإسبانية على المنطقة سنة 1934، كما تدل على ذلك وثيقة مؤرخة بتاريخ 2 ماي 1934، والتي تفيد تعيين أمغار سعيد على جماعة ايت الخمس **"(...) قد وليت عليكم أمغار قبيلتكم ليدبر أمركم ويقدكم أخيكم السيد سعيد بن الحسين بن يحيى، أن يتخذ ما اشتملته القوانين العرفية التي جرت العمل بها في ايت بعمران، ليعاملكم بالأنصاف ويسلك بكم طريق الخير"**([46]).

إعتراف إسبانيا بأعراف المنطقة لم يكن الغرض منه هو إبقاء الحال على ماهو عليه إنما هو وسيلة لإظهار النوايا الحسنة تجاه الساكنة كبادئ الأمر، غير أنها تراقب عن كثب تطبيق هذه الأعراف وتقف على جميع تفاصليها، إبتداءا من إنجاز لوائح بجميع انفلاسن المنطقة ومجال

---

[42]-نفسه، ص:69-70.
[43]- نفسه، ص:65.
[44]- نفسه، ص:71.
[45]- نفسه، ص:82..
[46]-وثيقة خاصة حول تعيين أمغار سعيد على جماعة آيت الخمس، في 2 نايو 1934.

حكمهم، كما تشير إلى ذلك وثيقة من الحاكم الإسباني إلى أمغار سعيد يأمره فيها أن يبين له" **عدد إنفلاسن الذين هم في حكومته كل واحد باسمه وبين له أيضا اسم المدشر الذين يأمر عليهم بأذنه(...)"**([47])، وصولا إلى تنفيذ عقوبات على إنفلاسن الذين يتكاسلون عن تنفيذ الأوامر الرسمية للجمهورية الإسبانية" **ومن عجز من إنفاليس عن إستيفاء الإذن تجر عليه العقوبة بسبب إهماله للأوامر الرسمية"**([48])، مما يظهر النية الواضحة للحكومة الإسبانية في إخضاع مجال نفوذها للقوانين الإسبانية ضاربة غرض الحائط بأعراف المنطقة.

2.نماذج من القوانين العرفية الباعمرانية

أ- اتفاقية أهل الحل والعقد بآيت بها او يحيى

نورد هنا اتفاقية بين شرفاء ومرابطي وطلبة ايت بها او يحيى وهي مؤرخة بتاريخ ذي الحجة عام 1272 والتي جاء فيها ما يلي: **"وبعد، فقد اتفق بنو وحيا ، أعني أهل الحل والعقد من شرفائهم ومرابطيهم والطلبة وغيرهم، عموما وخصوصا، على مصالح بلادهم وطرقهم وأسواقهم وسائر مصالح بلادهم ومصالحهم أنه:**

جريمة السرقة	العقوبة المقدرة
من اتهم بالسرقة في وقت العيب والحركة	فجزائه مائة يمين في ثلاثة أيام.
من سرق له شيء من البهائم في نوبته	فقد لزمه غرمه
من سرق له شيء في متاع الناس عنده، فسواء كان وديعة، وكان معه حوائج رب الدار، أو بهيمة	لم يلزمه غرمه وأنما لزمه يمين فقط.
من اتبع أثر السرقة إلى دار أحد	فعليه أن يخرج ذلك الأثر أو يخلص تلك السرقة.
السرقة بيننا وبين تكنة	فإن لزمها غرم تلك السرقة بنفسها، ولا يلزم فيها البشارة ([49]) ولا غيرها، بعد يمين على ذلك.
أما المتهمون بالسرقة	فعلى صاحب السرقة الخيار بأخذ من أراد منهم.
المعدم فليست عليه البشارة	وأنما لزمت البشارة من كان معه في السرقة.
العبد والمرأة فليسوا بالشركاء في السرقة	فأنما يغرم من كان معهم في السرقة ولا غيرها.

[47]-وثيقة خاصة من الحاكم الإسباني إلى أمغار سعيد، في 29 يناير 1935.
[48] -وثيقة خاصة من الحاكم الإسباني الكمنضنتي إلى أمغار سعيد في 21 يوليوز 1938.
[49]-المكافأة المالية التي كان يحظى بها من دل أحدا على ما سرق منه.

هذا الوفق العرفي لم يختص بتنظيم العلاقات الداخلية لايت بها او يحيا فقط، بل امتد الأمر إلى تنظيم علاقتها مع باقي القبائل ، كقبيلة التكنة التي يوحي البند المتعلق بسرقتهم **"السرقة بيننا وبين تكنة فإن لزمها غرم تلك السرقة بنفسها، ولا يلزم فيها البشارة ولا غيرها، بعد يمين على ذلك"**، إلى أن هناك اتفاقا قبليا بين القبيلتين .

جريمة الضرب	العقوبة المقدرة
وأما من خاصم مع أحد وضربه بالعمارة([50])	أن أصابته في بدنه فخمسون مثقالا ([51]). وإن لم تصبه فعليه عشرة مثاقيل.
أما المضروب في الرأس	إن كسر رأسه ففي كل عظم ثلاثة مثاقيل وأن لم يكسر، خمسة مثاقيل مع الذبيحة.
وأما من كسر رجل أحد أو يده	فأعرجه أو شل يده، فعليه نصف دية.

حادثة القتل	العقوبة المقدرة
وأما من قتل أخاه	فإن إخوان المقتول يتبعونه بذمه، باثني عشر رجلا من ظهر المقتول إن كان عنده إخوة، وإن لم يكن عنده إخوة فيجعلهم بالذبيحة اثني عشرة كذلك.
وأما البارود إن كان في الصف، فخرج فيه ما ينيف على اثني عشر عمارة، ولم يظهر منهم القاتل، ولا من يقوم منهم أنه هو القاتل	فعليه جميعا دية المقتول.
وأما العمد والخطأ في القتل	سواء.
وأما الدية بيننا وبين تكنة	خمسون مثقالا مع البقرة ذبيحة له لا غير.

[50]-يقصد بها الرصاص.
[51]-يتركب المثقال في النقد من 10 أوقيات (أو دراهم)وكل أوقية تشتمل على 10 موزونات، وتشتمل الموزونة على 24 فلس وكل فلس على 12 زلاغي وكل زلاغي على 12 حبة، ووزنه عشرة دراهم(29.116 كرام)، عبد اللطيف الشادلي، **معجم المصطلحات الإدارية والألفاظ العامية والأجنبية الواردة في بعض الوثائق والمؤلفات المغربية**، المطبعة الملكية، الرباط، 2007، ص:197.

حوادث مختلفة:

نوع الجريمة	العقوبة المقدرة
وأما من كسر الدعوة عند من دعاه أخاه لأحد، سواء كان فقيها أو شيخا، ولم يأت فخلف	عليه ثلاثة أيام إن غار عليه فلم يلزمه شيء، وإن لم يتخلف وغار عليه صاحبه، فعليه جميع ما خدم في تلك الفتنة من قتل أو جرح.
وأما يمين الخمسين يمينا فوقته من الظهر إلى العشاء ـ أن لم يأته صاحبه	فعليه غرم ما اتهم عليه، سواء كان سرقة أو غيرها، وأما عشرة إيمان فليس كذلك، فعلى صاحب يمين أن يأتي بيمين آخر، ويدفع له من رابط عليه اليمين فواته.
وأما العبد إن قطع أذن بهيمة، سواء كانت مهرة أو غيرها	إنما لزم رب العبد اثني عشر مثقالا لا غير.

ب- القانون العرفي لايت بها او يحيا

سبقت الإشارة إلى أن ايت بها او يحيا هو احد اللفان المشكلان لايت باعمران إلى جانب ايت بو بكر او يحيا، ووفقا لهما يتم تدوين الأوفاق العرفية الخاصة بكل لف مع ذكر المجموعات المنضوية تحت كل واحد منهما، كما توضح الوثيقة التالية: **"وبعد، فقد اتفقت جماعة آل ايحيى كلهم، أعيانهم وعامتهم، صغيرا وكبيرا، بنو عبد الله(...)، وبنو العزاويون(...)، وبنو الاسموريون(...)، وبنو الأيوبيين(...)، الاعلايون (...)، والأصبايون "**([52]).

لقد وضع أعيان قبيلة ايت بها او يحيا قوانين محكمة لتأذيب المخلي بالأمن في القبيلة، وأوجدوا لذلك عقوبات تختلف حسب نوع الجرم المرتكب، الذي كان يترواح بين القتل والضرب والسرقة والفساد والتزوير، ونورد نماذج من تلك الحوادث والعقوبات المقدرة لها:

---

[52]-وفق ايت بها او يحيا المؤرخ بمنتصف شعبان 1290 الموافق ل 8 أكتوبر 1873.

حادثة القتل	العقوبة المقدرة
أن من قتل أحدا	فعليه أربعمائة أنصاف، وأربعة وعشرون رأسا من الغنم، وغرارتين من تمنت([53])، وصاعين من الادام،([54]) وما شبع القبيلة من الطعام.

حادثة الضرب	العقوبة المقدرة
ومن ضرب أحدا بالعمارة من غير جرح	فعليه خمسون مثقالا إنصافا، والذبيحة.
فإن جرح(الضارب) أحدا بالحجارة	فعليه مائة مثقال إنصافا للقبيلة، ومائة مثقال لمن جرح وما فوت حتى يبرأ، وبعد أن يحلف أنه فوت كذا يعطيه له (الضارب).
ومن خرج بالعمارة، وكسر المصاب في الرأس أو الرجل أو اليد	فعليه مائة مثقال وخمسون مثقال إنصافا، ومثل ذلك لمن كسر، وما فوت حتى يبرأ، بعد أن يحلف في المصحف أنه فوت كذا، يعطيه له من كسره.
ومن ضرب أحدا بالحجارة، وجرحه في الرأس من غير كسر فإن كسر رأسه بالحجارة أو رجله أو يده	فعليه خمسة عشر مثقال، والفوت حتى يبرأ فعليه خمسون مثقالا انصاف، وخمسون مثقالا لمن جرح، والفوت.
من كسر أسنان أحد	فعليه ثلاثون مثقال لكل سن.
من قلع عين أحد	فعليه نصف الدية.
وكذا أن عطب إحدى رجليه أو إحدى يديه	فعليه نصف الدية.

جريمة السرقة	العقوبة المقدرة
من سرق شيئا في الخلا، فإن تبين	فعليه، خمسون مثقالا انصافا، ورد ما سرق، ومثله بشارة
	وأن اتهم فعليه خمسة وعشرون يمينا.
من سرق شيئا في الدار أو جموز النحل	فعليه مائة مثقال إنصاف، وخمسون مثقالا(على) هجم الدار
	فإن لم يبين شيئا فعليه خمسون يمينا.
من تبع آثار سرقته حتى يدخل بلاد احد من القبائل، في ديارهم	وهم يخرجون لهم أو يغرم ذلك السرقة وبشارتها، ويعطيه مائة مثقال أنصافا للقبيلة.

---

[53]-العسل.
[54]-السمن.

من سرق شيئا في جميع مساجد بني يحيى	فعليه مائتي مثقال إن تبين إنصافا، وكذلك زاوية سيدي إبراهيم بن عبد الله أحرا، وزاوية أتول
	فمن اتهم أحدا بالسرقة فيها فعليه مائة حلاف في ثلاثة أيام
ومن عرف بالسرقة وكان متهما	يغرم بشهادة السارق مثله أو البعد
ومن شهد أحدا على الأخر أنه سرق وليس من أهل السرقة	لا بد أن يبين ذلك أو يزكوه عشرة من إخوانه، شهادة صحيحة
وأما الشاهد إن كان حاله يشهد بالزور	وإلا فلا، لا تقبل شهادته على أحد، غير إن كان حاله يسرق وعلم الناس بسرقته تجوز شهادة من شهد عليه

حوادث قطع الطريق	**العقوبة المقدرة**
من قطع في طريق أسواقهم	فعليه مائة ريال لكل واحد انصافا، ويرد ما نهب وبشارته
من قطع في الطريق من غير سوق	فعليه مائة مثقال إنصافا، ويرد ما نهب مع بشارته.

اهتم الباعمرانيون بحوادث الفساد الأخلاقي وأقروا قوانين لزجر هذا الفساد تتفاوت حسب حيثيات إرتكاب هذا الجرم.

حوادث الفساد الأخلاقي	**العقوبة المقدرة**
من قبض أحدا في داره على الفساد	فعليه مائتي مثقال، ومثل ذلك لرب الدار.
ومن تعرض للمرأة في الطريق يريد فيها الفساد أو يربطها	فعليه مائة ريال أنصاف ومثل ذلك للمرأة، إن قامت عليها البينة
من قبض في الخلا من امرأة في الفساد	فعليه مائة مثقال إنصاف، مثل ذلك للمرأة.

حوادث التزوير	**العقوبة المقدرة**
ومن كتب عقد الزور، وظهر بيده بالتحقيق	فعليه مائتي مثقال، سواء الكاتب أو من ظهر عليه.

حادثة رفض دعوة اهل القبيلة:

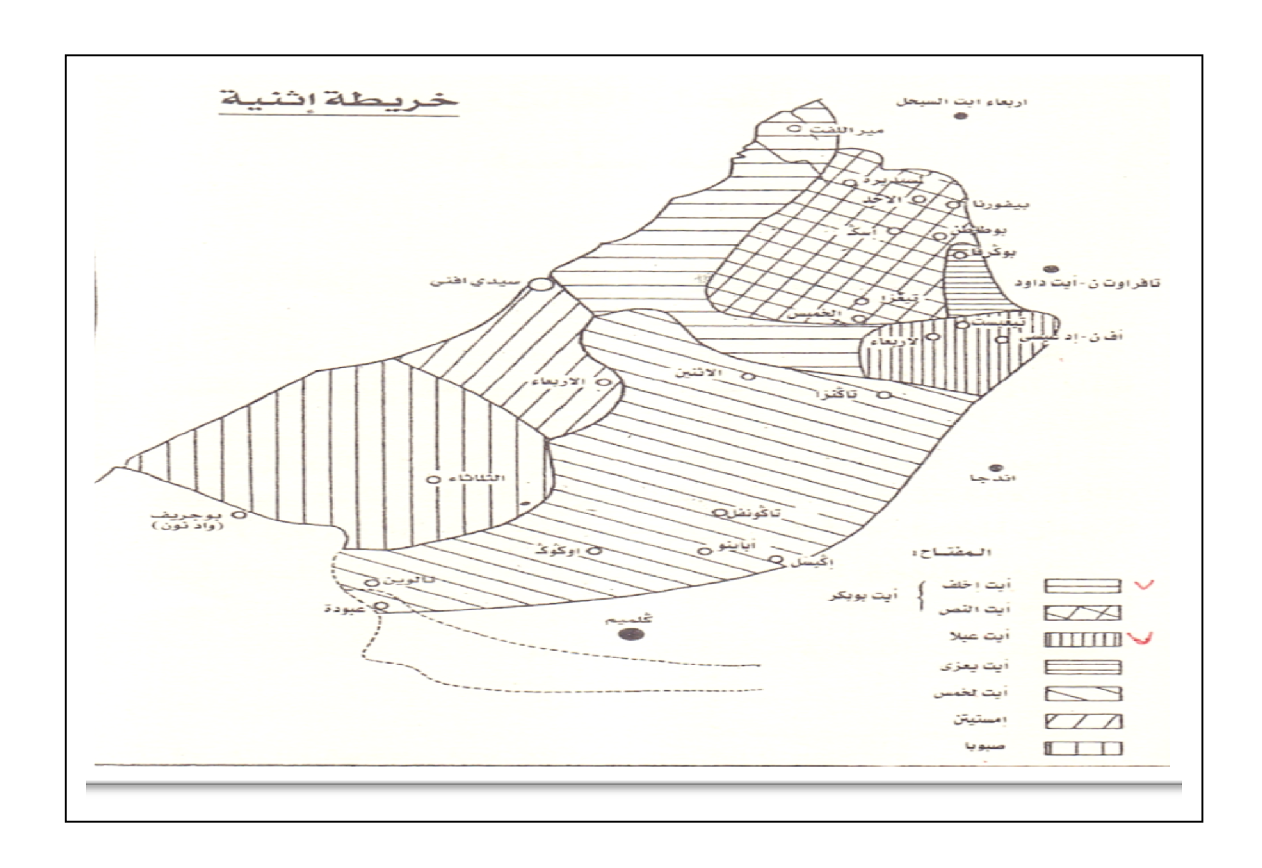
ما يدعو للتأمل فعلا وبعمق هو ما إهتم به مدوني الأوفاق العرفية الباعمرانية من الحرص على عدم الإنفراد والدعوة للإنخراط في الجماعة، ومعاقبة كل من يرد دعوة أخيه كما هو وارد في البند التالي:

"ومن دعا أحدا، عند بعض ... بن يحيى أو مقدمتهم، وكسر الدعوة، فعليه عشرة مثقال لكل دعوة، فإن كسر ثلاثة دعوات فعليه ثلاثون مثقال، ويلزمه الغرم".

ت - اتفاقية للسلم بقبيلة اكيسل

يرجع تاريخ هذه الإتفاقية إلى جمادى الثاني عام 1241، وقد جاء فيها" **وبعد فقد شهد هؤلاء قبيلة ال صبويا وال السمهر من عين أكيسل (...): بأنها تحاسبوا بينهم وبين الفقيه الحسين مرزوك فيما فوت في الفتنة التي وقع بين قبيلة الاسموري في أكيسل وبين قبيلة الاسمهريين بعد فتنة الحساب بينهم وبين قبيلة الهصباويون حتى ظهر ما بدت الفقيه الحسين المذكور أعلاه وهو ثمانية عشر سقاية وأربعين غرار من الشعير وأربعة أصواع من السمن وخمسين رأسا من الغنم وبقراتين من الذبيحة وهو ما تحاسبوا عليه وجعلوا عليه ثلاثة ليال من الماء في عين إكيسل التي كانت تحت يديه وحيد ما له في التراب في سقاية اكيسل في ذلك الحساب بينهم واكلوا بعد الحساب المذكورون مائتين مثقالا بينهم من يد الفقيه الحسين المذكور في انه المذكور في عين اكيسل وبه عند الاقتداء بينهم طال الزمان ام قصر وبه كتب بتاريخ شهر الله جمادى الثاني عام 1241 عبد ربه سبحانه مبارك بن عبد الله بن مرزوك لطف الله به امين وعبد ربه ابراهيم بن الحاج الاتولي الصنهاجي غفر الله له"**([55]).

[55]-وثيقة خاصة حوا اتفاقية السلم بين قبيلة ايت اسمور والسماهرة بتاريخ جمادى الثانية 1241.



خريطة توضح حدود ايت باعمران وضمنها قبيلة إكيسل([56]).

ث - القانون العرفي لقبيلة إكيسل:

"اتفقت جماعة أهل إجيسل أن من مصالحهم... على أنهم اتفقوا أن :

-من تلفق على الفتنة بين أهل إجيسل بالفتنة أنه تلزمه خمسة وعشرين مثقالا لكل جهة.

- وأن الذي رد الماء ليس له تلزمه خمسة مثاقيل.

-والذي دخل بحيرة ليس له تلزمه خمسة مثاقيل.

- والذي دخل دارا بقش ليس له تلزمه خمسة وعشرون مثقالا.

- والذي خرج عمارة في الفتنة تلزمه خمسين مثقالا.

- والذي سرق تلزمه خمسين يمينا في ثلاثة عشر أياما وإن ظهرت عليه السرقة تلزمه عشرة مثاقيل ويعشي ايت اربعين وان الإنصاف للجميع.

---

[56]- فانسان مونتاي، **تقييدات حول إفني ...**، مرجع سابق.

هذا ما وقع فيه انصاف الفتنة ليت اربعين المذكورين وان انصاف البلد لأهله ولمن حضر معهم من ...، وقد اتفقت جماعة أهل إكيسل أنهم اتفقوا أن كل كانون يعطي كفة يكون فيها صاع من الحب لرم([57]) المذكورين في كل عام "([58]).

يظهر جليا أن القوانين العرفية التي وضعت في ايت باعمران أو في غيرها من المناطق، قد لعبت دورا كبيرا في حفظ النظام داخل المجتمع القبلي، الذي وضع قواعد قانونية محلية تراعي الخصوصيات المحلية لكل منطقة، لأنها قواعد مرتبطة بالواقع المعيش الذي يفرض نفسه أمام الجماعة لتنظم شؤونها الداخلية وحتى الخارجية في وقت كانت تغيب فيه السلطة المركزية المباشرة عن تدبير هذه المناطق.

كما أن الداعي لدى معظم واضعي القوانين العرفية كان هو فرض النظام وليس الخروج عن الشرع كما ذهبت إلى ذلك بعض الأقلام وما إصرار واضعي القوانين العرفية على إشهاد عدول وقضاة على بنود اتفاقياتها وكذلك اختيارهم للمساجد لعقد اجتماعاتهم العرفية وأيضا الحمدلة التي يبتدئون بها عقودهم إلا دليل واضح على تمسك هذه المناطق بالشرع الإسلامي.

---

[57]-يقصد بها الرجال.
[58]-وثيقة خاصة حول القوانين العرفية لقبيلة إكيسل بدون تاريخ.

الوثيقة1: القانون العرفي لقبيلة ايت بها او يحيا

الوثيقة 2 : اتفاقية اهل الحل والعقد بايت بها ويحيى

الوثيقة 3: تعيين أمغار سعيد على قبيلة ايت الخمس

REPUBLICA ESPAÑOLA TERRITORIO ... ASUNTOS INDIGENAS

الحمد لله وحده

الى جماعة ايت الخمس واخوانكم المسلمين اعلموا
ان الحكومة الجمهورية الاسبانية وان تكون صديقة
حافظة لبلاد البلد فقد وليت عليكم امغار قبيلتكم ليدبر
اموركم وينفذ احكام السيد سعيد بن الحسين بن ... ان
ينفذ ما تسمى القوانين العرفية التي جرت العمل بها
في ايت بعران لبعاملكم بلا انحراف ويسلك بكم طريق
الحق ودمتم بخير والسلام في 4 ماي 1936 موافق 8 محرم 1351

Coronel

الوثيقة 4: اتفاقية للسلم بقبيلة إكيسل

الوثيقة 5: القانون العرفي لقبيلة إكيسل.

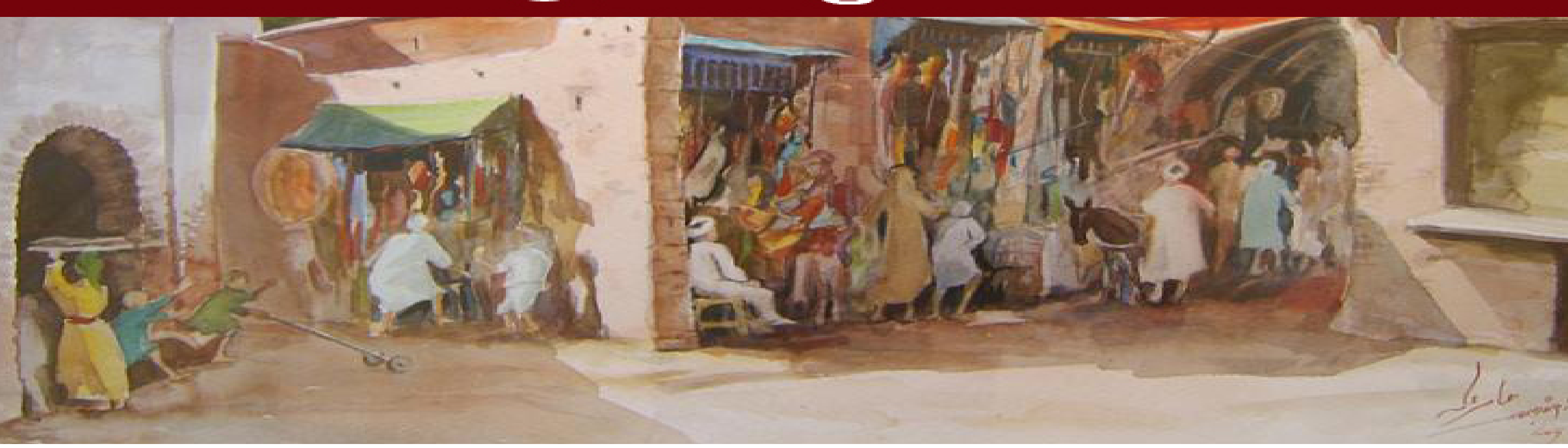
الحمد لله [illegible] اللهم صل على الحبيب

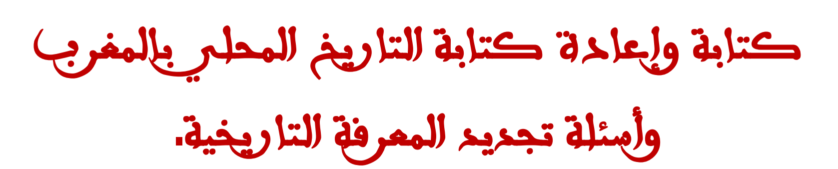
مثقالا

اتفقت جمعة اهل اجبسال امر مصالحهم
وابرارم بتداعي انهم اتفقوا ان من تلفوا
على الفتنة بين اهل اجبسال بالفتنة انه
تلزمه خمسة وعشرين لكل جبهة
والذي رد البلاد ليسرقه تلزمه خمسة مثاقيل
والذي دخل بحيرة ليسرق تلزمه خمسة مثاقيل
والذي نقل دارا بفتش ليسرق له تلزمه خمسة
وعشرون مثقالا والذي خرج بحمارة في الفتنة
تلزمه خمسين مثقالا والذي سرق تلزمه
خمسين بيمينه ثلاثة ايام عشر ابلاغ
وان ظهرت عليه السرقة تلزمه عشرة مثاقيل
وبعشاية اربعين وان التصالح بالجميع هذا ما
وقع فيه انصاف الفتنة ليتار بعيش المذكورين
وان انصاف البلد لاهله ولمن حضر معهم
من ارم وان نصاف فتنة الجيع ببعاية اربع
البلد وارم على النصف

وقد اتفقت جماعة اهل اجبسال انهم
اتفقوا ان كل كانون يعطي كفة يكون فيه
صاع من الحب لرم المذكورين في كل عام والسلام
عبد ربه سعيد عبد الرحمن بن الحافظ
النسبا عفا الله عنه امنه مسلما امين

مناهج التاريخ





كتابة وإعادة كتابة التاريخ المحلي بالمغرب وأسئلة تجديد المعرفة التاريخية.



عبد الحكيم الزاوي
باحث في تاريخ المغرب المعاصر

لا يزال ورش كتابة وإعادة كتابة التاريخ المحلي بالمغرب، على ضوء المنجز الاستوغرافي الحاصل اليوم، سواء في صيغته الكولونيالية، أو في صيغته الوطنية، مفتوحا أمام مختصي الزمن، ونظرائهم من باقي التخصصات المجاورة، بل ومختبرا واعدا لاختبار وقياس عدة فرضيات ومفاهيم، مستمدة من تقارب التاريخ مع أسئلة العلوم الاجتماعية، بهدف تحليل وإعادة تأويل واقع بنيات المغرب ما قبل الحماية وما بعده، من منطلق ماكروتاريخي، لأجل الخروج بتأويلات جديدة، تصورات مثمرة، قراءات غنية، تدفع نحو إخصاب حقل المعرفة التاريخية، بعد حالة الانحباس الذي تشهد عليه عديد من أبحاث التاريخ برحاب الجامعة المغربية، إن منهجيا، أو حتى معرفيا[59]،

---

[59]- عبد الاحد السبتي، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج، ملاحظات أولية، ضمن البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1989،ص، 44-49.

هذا التصور المنهجي من شأنه أن يزيل عتمة كثير من قضايا الجدل التاريخي، وأن يعيد الاعتبار للمؤرخ وللمعرفة التاريخية ضمن الهندسة السياسية والاجتماعية والتربوية بالمغرب.[60]

ورش معرفي مفتوح وممتد، يستمد مشروعيته المنهجية، من خلفية التقارب التي راكمها التاريخ كمعرفة ابستمولوجية في مسيرة إثبات هويته، وفرض ذاته على مختلف مباحث العلوم الانسانية المجاورة، من انتربولوجيا وسوسيولوجيا ولسانيات وسيميائيات...، كما يستمد شرعيته السياسية والاجتماعية في مواكبة انشغالات البادية المغربية في زمن التحول، من قيم التضامن العضوي والالي، التي رصدها دوركهايم في مجتمع القبايل بالجزائر، نحو انغراس قيم جديدة في البنية الاجتماعية، تعيد إنتاج نفسها في ثوب مختلف، ليعاد طرح استفهام سوسيولوجي ملح، بانهجاس راهني، سبق لجاك بيرك أن تناوله بالفضاء المغربي، ما معنى القبيلة بشمال افريقيا؟ أملا في انخراط المؤرخ في الإحاطة بما سماه بول ريكور ب"الواقعة الاجتماعية الشاملة"، نقلا عن صاحبها مارسيل موس.

هذا الإنهجاس المنهجي شكل محور العديد من المراجعات والقراءات، التي همت تجديد حقل المعرفة التاريخية، من طرف عدة باحثين بالمغرب وخارجه، من أجل نقل مجال اهتمام التاريخ من البحث في الأحداث والوقائع، إلى مجال البحث حول الخطاب، أو ما يمكن وسمه ب"تاريخ التاريخ"[61]، بهدف ضخ دماء جديدة إلى شرايين البحث التاريخي، وتجاوز حالة الانحباس المعرفي والمنهجي، و"التراكم الهش" التي تسم عديد من الأبحاث التاريخية، التي أضحت تنجز من دون خلفية ابستمولوجية واضحة، وفي غياب واضح لعمق اشكالي، ومن دون احتكاك عملي مع أسئلة العلوم المجاورة.

والحاصل، يتضح لمتتبع مسار الاستغرافيا المغربية منذ الاستقلال إلى اليوم، انهجاس الباحثين المغاربة بالخوض في إشكاليات التاريخ المحلي، وهو أمر لا يخلو من خلفيات معينة، معلنة عند البعض، ومضمرة عند الاخر، يرتبط بعضها باستعصاء كتابة تاريخ الحماية[62]، الذي هيمن عليه الأجانب، من أمثال دانييل ريفي وبيير فيرمورين ووليام هوينسطن واخرين... والاستعاضة عنه

ابراهيم بوطالب، "البحث الكولونيالي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية، حصيلة وتقويم"، ضمن البحث في تاريخ المغرب، م س، ص، 137-136.

Jacques Berque « Cent vingt-cinq ans de sociologie maghrébines » Annales. Economies Sociétés Civilisations n° 3 1956 p 321.

[60]- أصل هذا النص مداخلة في ندوة حول " التاريخ المحلي لسكساوة" بامنتانوت، غشت 2016،على هامش توقيع كتاب للباحث محمد أقديم، "التحولات السوسيوتاريخية في منطقة الأطلس الكبير، من أفيفن إلى امنتانوت، مساهمة في كتابة التاريخ المحلي، دارالامان، 2016.

[61]- محمد حبيدة، بؤس التاريخ، مراجعات ومقاربات، دار الامان، الطبعة الأولى، 2015.

عبد الأحد السبتي، التاريخ والذاكرة، أوراش في تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى،2012.

[62]- محمد حبيدة، بؤس التاريخ، م س، ص 49-70.

بكتابة تاريخ القرن التاسع عشر، الذي سيفرض واقعا معقدا تجاوز الدولة المخزنية، وقدرتها على ضمان السيادة، هذا الوضع المعقد، سيجعل المؤرخين يتبنون رؤية استرجاعية للزمن، فمن الإستعمار إلى أصول الاستعمار، ومن الحركة الوطنية الى جذور الوعي الوطني.[63]

يمكن تأصيل بداية الإهتمام بهذا الورش التاريخي، الذي يروم دراسة القبيلة المغربية كبنية مركبة، في امتداداتها الكبرى، وعلاقاتها الافقية والعمودية، بمحاولة السوسيولوجي الفرنسي جاك بيرك التي صدرت سنة 1938 تحت عنوان" دراسات في التاريخ القروي"[64] وهو تأليف سوسيولوجي لا يخلو من انهجاسات تاريخية واضحة، لتتناسل بعد ذلك الأبحاث المهتمة بتفكيك التاريخ المحلي، خاصة في السياق المغربي مع منتصف السبعينات من القرن العشرين من خلال أطروحة "اينولتان" لأحمد التوفيق[65] و"تافيلالت" للعربي مزين، وصولا إلى لحظة الإسهال المفرط التي أفقدت هذا النوع من التاريخ خصوبته المعرفية، في سياق زمني معين، لا زالت تداعياته تخيم على المشهد التاريخي إلى اليوم.

فما الذي يغري مؤرخ اليوم في العودة إلى دراسة وإعادة تدبير ماضي الظاهرة بعبارة جاك لوغوف؟ ما الرهانات الكبرى التي تحرك البحث في التاريخ المحلي؟ ما الإضافات التي قد تنضاف إلى حصيلة المنجز الاستوغرافي القائم منهجيا ومعرفيا ؟ ألم يحن بعد الوقت لإقامة دراسات مونوغرافية تركيبية تجيب عن قضايا كبرى وأعمق من تاريخ المغرب، بعيدا عن فحص الجزئيات كما قال عبد الله العروي؟ وهل تمتل عودة مؤرخ اليوم إلى النبش مجددا في اشكاليات التاريخ المحلي محاولة استغوار مشبعة بهموم راهنية، تمتح من عسر تحديث البنيات الذهنية للبادية المغربية بسبب ثقل الإرث القبلي؟

تسعى هذه الورقة، إلى محاولة رسم خطاطة نظرية حول مسار اسطوغرافيا التاريخ المحلي بالمغرب، ورصد مسارات الكتابة التاريخية بهذا الورش، انطلاقا من مساءلة المنجز الاستوغرافي، سواء في صيغته الكولونيالية، أو المغربية، بهدف التقاط الاشارات الكبرى التي قد تساعد على فهم متقدم لواقع اشتغال البنيات الاجتماعية والاقتصادية بتاريخ المغرب ما قبل الحماية وما بعده، وهو كشف أولي يقودنا إلى التقاط أربع لحظات كبرى:

---

[63]- عبد الاحد السبتي، التاريخ والذاكرة، م س، ص 111.

[64]- J. Berque Eudes d'histoire rurale maghrébines Tanger- Fès 1938.

[65]- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، اينولتان (1850-1912)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1983.

1- لحظة المحاولات الفردية:

انصب اهتمام الباحثين الأوائل في نهاية القرن التاسع عشر على استكشاف وتحليل المشهد الاجتماعي بالمغرب، من منظور المغايرة، الغرابة، الطقوس السحرية والإيكزوتيزم، إنطلاقا من نظرة اثنومركزية مخصوصة، مرتبطة بنظرة التفوق والتعالي، التي خلقتها تاريخانية تجاوز أروبا للعوالم الجغرافية الأخرى، وتجسد هذه اللحظة بداية تحول مفصلي في علاقة أروبا بالآخر المختلف، بهدف تحضير مشروع غزوه، ودمجه في " المهمة الحضارية"، وتحضر في هذا الصدد، عدة أسماء من قبيل مثل أوغست مولييراس في كتابه الضخم " المغرب المجهول"، وشارل دوفوكو في كتابه " التعرف على المغرب" واخرين... وعلى الرغم من تداخل المعطى الواقعي بالمتخيل، وامتزاج السرد بالوصف والتخمين، في مؤلفات هؤلاء، إلا أنها مكنت من بناء صورة شاملة عن المجتمع المغربي، بإمكانها تغذية الفضول واشباع الخيال وكسب رضا الرأي العام الفرنسي، في تداخل مثير بين العلم والسلطة.[66]

2- لحظة المأسسة العلمية:

ظهرت سنة 1903 من خلال نواة البحث السوسيولوجي بطنجة تحت مسمى "البعثة العلمية"، بغرض إقامة مسح شامل للمجال المغربي، وإنجاز تحليل ميكروسوسيولوجي لميكانيزمات اشتغال المجتمع المغربي، والعمل على تفكيك ثالوثه الفاعل: المخزن، القبيلة، والزاوية، بخلفية إدارية محضة، وقد عبرت دراسات كل من ألفرد لوشاتليي، ادموند ميشو بلير، جورج سالمون، ادموند بورك وروبير مونتاني عن هذا الاتجاه التي جمعت في "الأرشيفات المغربية" ومجلة " العالم الاسلامي" و" مدن وقبائل المغرب"[67].

3- لحظة البحث الأنتربولوجي:

برزت ابتداءا من الستينات من القرن العشرين أبحاث انجلوساكسونية غلبت عليها نفحة أنتربولوجية واضحة، حاولت فهم وتأويل أبعاد المجتمع المغربي، من خلال رصد دقيق للثابت والمتغير في الأنساق الاجتماعية والسياسية والدينية، والبحث في من يحكم المغرب، ودينامية السلطة، وقياس كيفيات العبور من المجتمع التقليدي إلى المجتمع العصري، إذ تلتمع في هذا الصدد، عدة أسماء وازنة، مثل كليفورد غريتز "سوق صفرو: اقتصاد البازار"، وارنست كلنير في كتابه" صلحاء الأطلس"، وبول رابناو" الهيمنة الرمزية: التشكل الثقافي والتغيرات التاريخية

---

[66]- نور الدين الزاهي، المدخل لعلم الاجتماع المغربي، دفاتر وجهات نظر، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الاولى، 2011، ص 12.

[67] - A. Khatibi, Bilan de la sociologie au Maroc, Rabat, 1967, p 21.

بالمغرب" وديل اكلمان "المعرفة والسلطة"، وجون واتربوري" أمير المؤمنين"، وبيرنار هوفمان "بنيات المجتمع القروي التقليدي " وإلين تيتوس هوفير "قبيلة الرحامنة قبل الغزو الفرنسي" ودافيد هارت "قبائل ايت عطا".

4- لحظة البحث المونوغرافي الوطني:

يمكن التأريخ لهذه اللحظة بمنتصف السبعينات من القرن العشرين، من خلال الأطروحة التي أعدها أحمد التوفيق للمناقشة في إطار دبلوم الدراسات العليا تحت عنوان " المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: اينولتان 1850-1912"، وهي لحظة تشكل انعطافة حاسمة في تاريخ الكتابة التاريخية، تعبر عن لحظة تخلص الاسطوغرافيا المغربية من هاجس الرد على الكتابات الإستعمارية، وبناء حوار مثمر مع هذه الكتابات، كما يظهر مع أحمد التوفيق في محاورته لروبير مونتاني، وغلنير وبيرك، أو كما برز مع عبد الرحمان المودن من خلال أطروحته " إيناون"[68] في محاورته للاقتصادي الفرنسي كارل بولانيي.

يروم هذا التقييم محاولة تفكيك الانشغالات الكبرى التي سيطرت على اهتمامات المؤرخين، ولحظة توقف مع الذات لمساءلة عمق الاشكاليات التي طوقت البحث التاريخي، ونافذة لاستقراء الانعطافات الكبرى التي مر منها البحث التاريخي، تجاوبا مع رهانات الظرف السياسي.

والحال، تكشف حصيلة البحث التاريخي في هذا الشأن، عن حضور وفرة كمية في مجال استوغرافيا التاريخ المحلي، تقدم مسحا مجاليا شاملا لجغرافية المغرب، بقبائله وزواياه، بمدنه وجباله... غير أنه، من الناحية المنهجية، ثمة تجاذبات كبرى تسم منجزنا التاريخي، من حيث المنهج، وتمثل الزمن، وبناء الموضوع[69]، جعلت الكتابة التاريخية تفقد رصيدها العقلاني وتضرب في العمق مكتسبات نافح من أجلها الرواد الأوائل.

هذا التجديد المنهجي، المشبع بهواجس ابستمولوجية يروم تجاوز حالة "الانحباس" التي تشهد عنها عديد من كتابات التاريخ بالمغرب اليوم، تحت تأثير مسوغات متعددة، فهل أصبحنا بعيدين عن معارك من أجل التاريخ للوسيان فيفر أو الدفاع عن التاريخ لمارك بلوك؟[70]

تراكمت على مدى بداية القرن الحالي، داخل الجامعة المغربية، قراءات ومتابعات نقدية، تختلف منطلقاتها النظرية وخلفياتها الابستمولوجية، تحاول مساءلة المنجز التاريخي بالمغرب منذ الاستقلال إلى ألان، وتعيب في بعض منها إسهاله المفرط في إنتاج وإعادة إنتاج موضوعات

---

[68] - عبد الرحمان المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

[69] - محمد حبيدة، بؤس التاريخ، مرجع سابق، ص 7.

[70] - خالد طحطح، الكتابة التاريخية، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2012، ص5.

وإشكالات لا تنسجم مع ما يحدث في الضفة الأخرى من المتوسط من نقاشات استوغرافية، ومراجعات عميقة للعملية التاريخية، بل ودعت إلى إعادة مراجعة الوضع الحالي للمؤرخ والمعرفة التاريخية ضمن الهندسة السياسية والتربوية والاجتماعية، وضمن سيرورة ما تشهده البلاد من تحولات ومخاضات، فهل يتعلق الأمر بغياب متعمد عن واجهة التناظر المجتمعي يتحمل المؤرخ نصيبه بدرجة أولى؟ أم بتغييب ممنهج من طرف المصالح والنفوذ بهدف توجيه الذاكرة التاريخية وإقبار القراءات المزعجة ؟ أم بغيبوبة تبقي ولا تذر؟

أسهبت هذه المراجعات النقدية لواقع حال البحث التاريخي بالمغرب في توصيف وتشريح أعطاب البحث التاريخي، من منطلق الحنين إلى "نوستالجيا الزمن التاريخي الجميل" كما يحلو للبعض وصفه، زمن كانت فيه الجامعة المغربية تصدح بأوراش غنية في الكتابة التاريخية، وتشهد جدرانها عن صخب حاد، بين مريدي مدرسة جرمان عياش الوثائقية، التي كانت منطلقا لتناسل عدة أبحاث مونوغرافية، خصبة أحيانا ومستنسخة في أحايين عدة[71]، وبين مناصري مدرسة عبد الله العروي التاريخانية التي تتغيا التركيب والتأويل كمنطلق لإعادة النظر في الاسطوغرافيا الكولونيالية[72]، والتي لأسباب عدة لم يكتب لها أن تفرض نفسها كتيار داخل الجامعة المغربية.

هذا الاتجاه محاولة ترسيخ تيار جديد داخل الجامعة المغربية، يعمل على هدم وهم امكانية الوثيقة من منظور وضعاني، املا في الاجابة عن قضايا اعمق تدخل في سياق معقد، وبهدف تنسيب الفجوة بين غزارة التأليف التاريخي الحاصل في هذا الشأن، وشح التأويل والتركيب الذي يفرضه واقع استنطاق تاريخ البنيات الاجتماعية والاقتصادية.

ومهما قيل في شأن توصيف ما يقع برحاب الجامعة المغربية ، فالوضع الحالي يوصف بالبؤس، قد يبدو للبعض حكما قاسيا على وضع ناشئ وجنيني، وأحيانا متسرع، لكنها تبقى ملاحظة مجهرية، تنهل من معاينة ميدانية لبؤس معرفي يقر به الجميع، ضمن بؤس أعمق مرتبط بأزمة العلوم الإنسانية عامة، بعد مرحلة "التراكم الهش"[73] الذي أحدثته تجربة الرواد من أمثال أحمد التوفيق وعلي المحمدي وعبد الرحمان المودن وجاك بيرك...، لحظة توسم ب"بداية التراجع" عن

71- وجه المؤرخ عبد الله العروي نقدا حادا لهذا الاتجاه، بقوله كلما "اتسع التاريخ الوضعاني كلما انحصر همه في فحص الجزئيات، وعجز عن تأليف حبكة منسقة"، راجع مفهوم التاريخ، الالفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، 2005، ص، 189-193.

72- لا تزال دراسة عبد الله العروي « Histoire du Maghreb essai de synthèse » التي ترجمت بعنوان " مجمل تاريخ المغرب" تشكل تحديا سيكولوجيا للباحثين المغاربة، من أجل خوض غمار كتابة التاريخ التركيبي.

73- عبارة جميلة أطلقها عبد الاحد السبتي لتوصيف حصيلة البحث التاريخي بالمغرب.

مكتسبات منهجية، بسبب توغل سلوكيات وأخلاقيات هجينة مشبعة بالهواجس البراغماتية المادية على حساب الفضول العلمي والحياد القيمي بالتوصيف الفيبيري[74].

وبعيدا عن مدرات الجامعة وصخبها، ترتسم في الأفق، قراءات جديدة، على مستوى المنهج، رؤية الزمن، وبناء الموضوع، تنهجس بخلفية تحديث البحث التاريخي منهجا ووظيفة، آداءا ومردودية، وبرغبة في توسيع مفهوم التاريخ، وفتحه على اجتهادات وأسئلة العلوم المجاورة، وهروبا من وضعانية تاريخ الأحداث والوقائع "الميكرتاريخ" وانتصارا إلى تاريخ البنيات "الماكروتاريخ"، من أجل رسم أفق جديد للعملية التاريخية بتعبير مشيل دوسرتو، وجعل المؤرخ يعكف على تدبير الماضي انطلاقا من انشغالات الراهن، استنادا إلى مقولات ومفاهيم تهدف إلى تجديد حقل المعرفة التاريخية، الذي يجب أن يستقيم في ثلاثة اتجاهات كبرى:

1- البحت التاريخي كماض وكذاكرة.

2- البحث التاريخي كمعرفة ابستمولوجية.

3- البحث التاريخي كمعرفة ديداكتيكية.

ولأن التاريخ ينتمي إلى "ابستمولوجيا مختلطة" كما قال الفيلسوف الفرنسي بول ريكور، ولأن معارك التاريخ الكبرى قضت بأن يكون التاريخ ضمن "السوق الانسانية المشتركة" بتعبير مؤرخ المتوسط فرناند بروديل، أو ما بات يطلق عليه عند مختصي الزمن بالتناهج، فإن ضرورة فتح البحث التاريخي على تراكمات اخرى، مقاربات ومناهج جديدة، تعدو مسألة مصيرية لتجاوز حالة الاحباط التي تخيم على جو البحث التاريخي، مثل مدرسة التاريخ من أسفل، ومدرسة التاريخ الاقتصادي الجديد البريطانية، ومدرسة الحياة اليومية الالمانية ، ومدرسة الميكرواستوريا الايطالية[75]، لأن الاعتماد على الوثائق كما يقول أندري بورغيير لا يقدم سوى ارهاصات لإعادة بناء الماضي. فالمسألة تبقى مسألة مفاهيم بدرجة أساسية، وهذه المفاهيم هي التي تميز التاريخ عن الوثيقة، المؤرخ عن الاخباري، حيث تغدو المعرفة التاريخية كتابة وإعادة كتابة، صياغة وإعادة صياغة، تأويل داخل تأويل، تعليق على تعليق، هدم وبناء، انطلاقا من مفاهيم جديدة مستوحاة نتائج وخلاصات العلوم الاجتماعية. وبذلك تتأتى عملية تجديد المعرفة التاريخية.

---

[74] -M. Weber « Essai sur le sens de la neutralité axiologique dans les sciences sociologiques et économiques » in Essais sur la théorie de la science(1917) traduit de l'allemand par J. Freud paris 1965 pp 399- 477.

[75]- خالد طحطح، الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص 83- 132.

فالتاريخ ليس علما صرفا محكوم عليه بالسرد، وليس سردا محكوم بالعلم كما تنبه الى ذلك صاحب "الزمن والسرد"[76]، فكل الاجتهادات الابستمولوجية التي أرادت أن تدمج التاريخ ضمن شبكة العلوم لم تفلح، لعدة اعتبارات وهواجس، أولا نظرا لارتباطه بالوثيقة وما تحمله من نقائص، وثانيا لارتباطه بالقارئ وما يفرضه من تأويل، وثالثا لارتباطه بالسرد، أو كما قال المؤرخ الأمريكي هايدن وايت يبقى السرد الحلقة الاساسية في العملية التاريخية.[77]

فالوثيقة تسجن المؤرخ تحاصره في قوالب براديغمات وضعانية، وتجعله لا يتجاوز فحص الجزئيات، مما يستوجب على المؤرخ، أن يقيم توازنا بين ما تقوله الوثيقة وما تقتضيه من فهم وتأويل، وهذا الجهد لا يتأتى إلا بمخابرة العلوم الاجتماعية، فإلى أي حد استطاعت "المدرسة التاريخية المغربية" تجاوز تاريخ الأحداث لفائدة تاريخ البنيات؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار الوثيقة مجرد نافذة تساعد المؤرخ على الإطلالة على المضمون الوقائعي؟ وكيف نستنطق الحقيقة التاريخية من النصوص الذي شبهه إلين مارو بموقف قاضي التحقيق؟ وبين هذا وذاك، كيف السبيل إلى الانتقال من "التوصيف الهزيل" نحو "التوصيف الكثيف" بعبارة رائد انتربولوجيا الأديان المقارنة كليفورد غيرتز؟

وختاما، لا يزال تاريخ المغرب يراوح بين العموميات، من دون انهجاس منهجي يساهم في توليد إشكالات خصبة، ينتظرها قارئ التاريخ بشغف كبير، سواء كان قارئا عاديا أو نبيها، تجيب عن انتظاراته وانشغالاته، فخارج حاجيات الراهن لا معنى للتاريخ، كما صدح المؤرخ التونسي الراحل الطاهر المنصوري، كما لا تزال الهواجس المنهجية والخلفيات الابستمولوجية غير ناضجة داخل شعب التاريخ بالجامعة المغربية في ظل تسرب الشحنات القومية الى الكتابة التاريخية ، ويظل معها، البحث التاريخي مصطبغا بألوان الطيف السياسي، ومقدسا للوثيقة المخزنية، ومجانبا للتاريخ الساخن، الذي يفرض حوارا هادئا مع الاسطوغرافيا الاستعمارية، هذا الواقع الوضعاني يسهم اليوم في انحباس المعرفة التاريخية.

---

[76]- بول ريكور، الزمن والسرد، ترجمة الغانمي وفلاح رحيم، مراجعة جورج زيناتي ، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الاولى، 2009م.

[77]- محمد حبيدة، بؤس التاريخ، مرجع سابق، ص 12.

صفحات من تاريخ المغرب





العلاقات المغربية العثمانية خلال الفترة الإسماعلية (1672م/1727م)



لحرش رضوان
طالب باحث

تعتبر علاقات الدولة العلوية مع العثمانيين قديمة حيث لم تكن بدايتها مع السلطان مولاي إسماعيل بل هي استمرار للعلاقات التي ربطت البلدين خلال حكم المولى محمد والسلطان المولى الرشيد، ففي أعقاب وفاة المولى محمد بن الشريف وجلوس أخيه المولى الرشيد على كرسي العرش كانت تصل رسائل عثمانية لدى المولى الرشيد تطالبه أن لا يسمح لجيشه بالتوغل في الأراضي التي توجد تحت نفوذ العثمانيين على أن يقلعوا بدورهم عن كل محاولة للتوسع ورغبة من المولى الرشيد في استقرار الأحوال استجاب لمطلب الترك، وضمن ذلك في كتاب منه إلى الوالي التركي بالجزائر، وكان الكتاب يحتوي على رسم الحدود التي تفصل الأراضي المغربية عن الإيالة العثمانية وهكذا ثم الاتفاق بين الطرفان بجعل "وادي تافنة" كحد بين البلدين[78]، وبعد ذلك تحسنت العلاقات بين البلدين في عهد المولى إسماعيل بل كانت الروابط الدينية أقوى من ذلك من

[78] -التازي،عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، المجلد التاسع، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988م، ج 1، ص. 12-13.

أن تتأثر بما حصل بين الجانبين، فقد كانت تلك الروابط أقوى في التمكين العلاقة بين الدولتين[79]، فقد تميزت فترة السلطان إسماعيل بعدة مناوشات بينه وبين الأتراك الجزائر ظهرت آثارها سواء في الوثائق المغربية أو التركية أو الفرنسية وغيرها، بالرغم من اتفاق منذ بداية ايام السلطان مولى إسماعيل على إقرار ما تم بين أخويه محمد والرشيد وبين أتراك الجزائر من جعل الحد هو "وادي تافنا"[80].

ظل السلطان إسماعيل رغم علمه بما انتهى إليه أخويه محمد والرشيد كما سبقت الإشارة إلى ذلك حول اتفاق الذي تم مع الأول وأكده الثاني، لكنه عاد لمهاجمة الأتراك فبمجرد ما استطاع أن يفعل ذلك الأمر سنة 1089هـ/1678م، على أنه ما كان ليقوم بذلك لولا أن الأتراك اختاروا وقت انشغاله بحرب ابن أخيه "أحمد بن محرز" في سوس ثم أخذوا يناوشون سكان مناطق الحدود الشرقية من المغرب، ومع ذلك عاد الاتفاق الذي التزم به مع السلطان مصطفى حان الثاني 1106هـ/1694م[81]. وفي تلك الأثناء كان السلطان يعتقد أن أمر ابن محرز قد انتهى بعد طرده من منطقة لاسيما بعد عقد هدنة مع أتراك الجزائر إلا أن أخبار وردت من سوس سنة 1092هـ/1681م، أكدت أن أتراك الجزائر الذين فتحوا ضده واجهة في الشرق المغربي كانوا أيضا وراء تمرد "ابن محرز" في الجنوب حيث ضبطت بعثات متبادلة ومراسلات منتظمة انتهت إلى عقد حلف سري بين أولئك وبين عناصر التمرد[82].

فقد شهد عام 1103ه في يومه السابع عشر من شهر شعبان قدوم على "الغرناطي" رفقة "الزيتوني" و" ابن صالح " بمكناس بالعدة ودفع الراتب للرماة، وخلال يوم الأربعاء رابع رمضان نزل "مولاي زيدان" بوادي فاس وبالغد نزل بسبو، ونزلت محلة فاس هنالك معه، ومن الغد وهو يوم السبت سابع رمضان تم الرحيل من سبو، ثم في يوم السابع والعشرين منه وقع قتال بينهم وبين الترك ومات القائد العربي "بن صالح" وغيره وهرب بعض رماة فاس ووصل بعضهم لفاس يوم الاثنين وهو يوم العيد وخرج حاكم المدينة يجمعهم، وكان يوم الاثنين ثامن شوال العام حدثا لخروج السلطان الذي بات بسبو وأيضا يوم الاثنين خامس عشر منه جاء الخبر

---

[79] -الفيلالي، عبد الكريم، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ناس للطباعة، القاهرة، ج 4 ،الطبعة الأولى، 2006، ص 220.

[80] -التازي، عبد الهادي، **التاريخ الديبلوماسي للمغرب...**، م.س.، ص 13.

[81] - الفيلالي، عبد الكريم، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، م.س.، ص 220.

[82] -التازي، عبد الهادي، **التاريخ الديبلوماسي للمغرب...**، م.س.، ص 13.



بأن السلطان عمل مع الترك صلحا وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين منه رجع الرماة وفي السابع والعشرين منه خرج ابن السلطان مع فقهاء للجزائر[83].

وفي سنة 1106 هـ، خرج "مولاي زيدان" من فاس بمحلته للترك بعد أن قتل الخليفة "أحمد السلاوي" بفاس وحاربها ونهب ما وجد ورجع في العام سبعة ومائة وألف ورد كتاب السلطان العثماني على مولانا إسماعيل يأمره بالصلح مع أهل الجزائر[84].

ومن بين الرسائل التي نجدها بين الدولتين، نجد أن الباب العالي يبعث في السنة الموالية 1107هـ/1696م سفارة إلى البلاط المولى إسماعيل الذي كان بدوره قد أرسل بوفادة التهنئة للسلطان مصطفى الثاني بمناسبة تقلده الحكم فقد وصلت السفارة ومعها رسالتان من اسطنبول كانتا ضمن ما عثر عليه في أرشيف اسطنبول، الأولى ولو أنها لا تحمل تاريخا إلا أن مضمونها يكشف على أنها كانت بعد تولي مصطفى الثاني الحكم، ونقل ملخصها إلى العربي :" لقد ورد علينا كتابكم الذي يعبر عن الود والصداقة المتوارثين فيما بين الأمتين وإنه من حين جلوسنا على العرش ونحن نقوم بأنفسنا على تقرير قواعد الملة خدمة لمصالح الأمة ورفعا لراية الجهاد وحماية الثغور الإسلامية وأننا لن نسمح بقيام المحظورات الشرعية في بلادنا..."، أما الرسالة الثانية فتتناول موضوع شكاية الجزائر إلى اسطنبول من مولاي إسماعيل حيث نجد أن الداي يوهم الباب العالي بأن الوجود التركي في الجزائر مهدد من طرف المغرب، وبهذا نفسر خطاب السلطان مصطفى الثاني باللغة العربية وهو ينتدب "الجليل بن الجليل" للصلح مع الجزائر ولكن الخطاب، إضافة إلى هذا يحمل بين سطوره معاني التهديد والتعامل"[85].

تحمل الرسالة الأخيرة تحرشات ضد المغرب وهذا ما احتج عليه السلطان المولى إسماعيل لدى السلطان مصطفى الذي نراه يغضب فيبعث برسالة مطولة بتاريخ 22 شوال 1120 باللسان التركي "إن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة المسالك...و إن سكان البلاد وأهلها وحكامها (...) وجندها منقادة من بعد أجدادنا لنا ..وبعد هذا يذكر بأنه بقرب دار السكان المغرب ما تزال توجد مليلة والبريجة وسبتة وبادس هي بيد الكفار...وأنتم تمدون يدكم إلى مدينة بعيدة عن دياركم تقع

---

[83] - الرباطي، الضعيف، محمد بن عبد السلام، **تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)**، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، نشر دار المأثورات،الرباط، ط 1، 1989م، ص. 76.

[84] - الكنسوسي، أبي عبدالله محمد بن أحمد، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تقديم وتحقيق وتعليق الأستاذ أحمد العماري، نشر دار المأثورات، الرباط، ط 1، 1986م، ص. 143.

[85] - التازي، عبد الهادي، **التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، المجلد التاسع، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مطبعة فضالة، المحمدية، ج 1، 1988م، ص. 18.

جوار تلمسان ألا وهي (وهران) تريدون أن تحوزوها بأعذار واهية على عكس ما تشير به الآية القرآنية :(يأيها الذين أمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)"[86].

فقد قام السلطان مولاي إسماعيل بمحاولات من أجل الاستعيانة ببعض أعراب من إيالة تونس في شغل أذهان أتراك وكذا أتراك الجزائر، وكان "المولى زيدان" ابن السلطان وليا على تازة ويترأس قيادة جيش لمواجهة الدولة العثمانية، فتجرأ على مهاجمة مدينة تلمسان وأخذها حتى وقف عندها، ولم يكتفي بذلك بل دفع بقوته حتى "نهر شلف"، وهناك دارت معركة عنيفة بين الجيش السلطاني والجيش العثماني كاد أن يصاب فيها "المولى زيدان"، فكان السلطان إسماعيل أمينا على بلاده من الجهة الشرقية بفضل سلسلة من الحصون، و من تم لم يجد بأسا في محاولة تمديد المجال نحو الشرق، فترك فكرة التوسع شرقا عن طريق تلمسان وأخذ الطريق للجنوب فترك أحد أبنائه يحتل المنطقة "عين مهدي" غربي الأغواط، كما استطاع أحد أبناء إخوته أن يضع حامية بسمجون في منتصف الطريق إلى عين صفرو (1710-1712م)، وساد الاضطراب في ذلك الحين والفرصة سانحة، لكن السلطان مولاي إسماعيل لم يتمكن من ذلك بسبب انشغاله بثورات داخلية[87].

وقد تجدد الصدام بين الطرفين في سنة 1112هـ/1701م، حيث نجد رسالة من القنصل الفرنسي "مانيي" بسلا مرفوعة إلى الوزير الفرنسي يتحدث عن اشتباك مغربي جزائري كما توجد رسالة أخرى من الجزائر إلى نفس الوزير الفرنسي بتاريخ 20 ماي1701 تخبر بتغلب الداي مصطفى على الجيش الإسماعيلي في وادي الجديروة من فروع شلف بتاريخ 20 ذي القعدة 1112 هـ الموافق 28 أبريل 1701م، فإذا كانت هذه الوثائق تتحدث عن هزيمة الجيش المغربي هذه المرة فإنها ذكرت انتصار السلطان المولى إسماعيل على العثمانيين في حملة مضادة لاحقة، إذ كتب القنصل الفرنسي في تطوان "Pierre Estelle" إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 29 يونيو 1701 يخبره بأن حاكم المدينة أعطى أمرا بإقامة الأفراح وإظهار معالم الزينة بمناسبة انتصار الجيش المغربي على الجيش العثماني[88].

عرفت الفترة التي كان الجيش المغربي يتصدى لوقف التحرشات من أتراك الجزائر، إرسال السلطان المولى إسماعيل سفارة إلى السلطان العثماني أحمد الثالث يخبره بما يقوم به ولاته من

[86] - التازي، عبد الهادي، **التاريخ الديبلوماسي للمغرب...**، المجلد التاسع، م.س.، ص. 18-20.

[87] -حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته: من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الأوربي**، المجلد الثاني، العصر الحديث(دار النشر) النشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1992 م، ص. 273

[88] - التازي، عبد الهادي، **التاريخ الديبلوماسي للمغرب...**، المجلد التاسع، م.س.، ص. 21.

تحرشات ضد بلاد المغرب، فكان الرد العثماني من أحمد الثالث، وورد في الخطاب كما يلي: "أعلم أيها السيد الولي أنه قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسمى وخطابكم لأنمى كنا لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر ولا أنهى إلينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا ولا عرفنا ما صار عندهم ولا ما هم عليه، وبالجملة أهل الجزائر ما هم على شيء لكونهم أخلاط الناس فيهم البراني وفيهم الأخلاق له ولم تكن عمارتها بذوي الحساب والأنساب كل هذا لا يخفانا قبل، نعرفه ونتحقق منهم، وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد بمحلتهم و أرادوا الشر معك وإنا لا نرضى منهم ذلك، وهذه الذخائر والأموال والخزائن التي خبرتنا بها قطعا خبرنا بها غيرك والآن إن شاء الله نرد لهم البال ونشتغل بهم ولا نتركهم في حيز الإهمال، وتلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب من كمال فعلك وحسبك أن تسمح لهم لوجهنا وإن عادوا يراجعونك ولو بكلمة بمحي جرتهم"[89].

وأخيرا يمكن القول بأن هذه العلاقة قد شهدت عدة توترات نتيجة أطماع التوسع لدى الطرفين فكانت لدى السلطان مولاي إسماعيل رغبة في التوسع نحو الشرق، فبسبب ذلك وقعت عدة حروب بين الجيشين، كما وقعت عدة مناوشات من طرف أتراك الجزائر حول الحدود المغربية وكذا مساندتهم لثورة ابن محرز، فقد مشت بينهم عدة سفارات وتم عقد عدة اتفاقيات صلح كما كانت مساندة بعض عناصر من أتراك الجزائر للجيش الإسماعيلي عند تحرير ثغوره فقد لعب رابط الدين دوار كبير في هذه العلاقات وقد ظل التعاون بين البلدين فيما يخص الجهاد وكذا التجارة .

---

[89] - التازي، عبد الهادي، **التاريخ الديبلوماسي للمغرب...**، المجلد التاسع، م.س.، ص.22-23



من تاريخ المغرب القرن ١٩







الحركات السلطانية في القرن التاسع عشر: زيارة المولى الحسن الأول لتطوان 1889م "نموذجا"

مراد حصول
طالب باحث

تقديم عام:

إن المتتبع للتاريخ السياسي للمخزن المغربي في القرن التاسع عشر، يعي جيدا أن ظاهرة الحرْكة أو المحلة من توابث السياسة الداخلية للجهاز المخزني، فكثيرة هي الدراسات التي تناولت ظاهرة الحرْكة في الفترة المعاصرة، فأسهبت الحديث عن تنقلها و المهام المنوطة بها لاسيما في علاقتها مع قبائل و مدن المغرب خلال القرن التاسع عشر ميلادي، الذي عرف حوادث كبرى و فاصلة في تاريخه. فاختلفت وجهة الباحثين حول مهام الحرْكة/ المحلة بين من يرى فيهما وسيلة لممارسة السلطة المطلقة بشكل مطلق، وبين من يرى فيها أداة سهلت على المخزن المغربي إمكانية استنزاف خيرات القبائل دون مراعاة لظروفها المعيشية. إلا أن ما يميز هذه الممارسة التي كانت تضطلع بها الحرْكة أثناء تنقلها رفقة جم غفير من أفراد القبائل و رجال المخزن، و خلال مدة

قد تستغرق شهور عدة أثناء مراحل سيرها هو ضمان ذلك اللقاء المباشر بين القبائل و السلطان دو السلطة الزمية، بل وأكثر من ذلك القائد الروحي الذي تجتمع عليه كلمة الرعية في إطار تعاقد يضمن ولائهم للسلطان عن طريق عقد شرعي عرف في التاريخ الإسلامي بعقد البيعة.

إن الأحداث التي عرفها المغرب خلال هذه المرحلة منذ احتلال الجزائر سنة 1830م إلى حرب تطوان 1859م واكبها بروز تطورات سياسية خطيرة ساهمت بشكل كبير في تكريس سياسة الباب المفتوح أمام مختلف القوى الأجنبية المتنافسة على المغرب رغبة منها في البحث عن موطئ قدم ثابت داخل دواليب السلطة المركزية أو على الأقل بين أحضان المجتمع المغربي تماشيا مع سياستهم الرامية لاحتلال العباد و البلاد مسقبلا.

في خضم هذه التطورات المتسارعة التي عرفها مغرب القرن التاسع عشر، تأتي أهمية الحديث عن ظاهرة الحرْكات السلطانية و عناية المخزن بتنظيم هذه الحرْكات لما كان لها من نجاح كبير على مستوى تكريس الحضور المخزني داخل مجال معين، و الذي يصبح بوصول الحرْكة مجالا لممارسة السلطة بشكل مباشر و عادي.

هذا وقد جاء العرض المتعلق بالحرْكات من خلال التركيز على زيارة المولى الحسن الأول لتطوان، والذي لم يكن_ بطبيعة الحال_ هو من أبدع مسألة الحرْكات كوسيلة في ممارسة السلطة، وإنما أهمية اتخاذ هذه المرحلة_ الحسن الأول(نموذج زيارة تطوان)_ تكمن في كون أن الحرْكة عرفت خلال عهده تنظيما و اهتماما كبيرا جعلته كمثال أعلى للسلطان الذي يحكم على صهوة جواده، وهو المعروف ب " السلطان الجوال" لكثرة حرْكاته في المدن و البوادي.

وأبدأ بحثي هذا بتساؤل أنا أقل الباحثين قدرة للإجابة عليه:" منذ متى أصبحت ظاهرة التنقل المخزني أمرا معمولا به في تسيير أمر الدولة"؟ لماذا لم تعرف زيارة المولى الحسن الأول لتطوان سبيلها إلى أدبنا التاريخي بذلك الإستهلاك الذي عرفت باقي الزيارات الحسنية إلى مدن أخرى؟

أولا: الحرْكة/ المحلة السلطانية، محاولة لرصد المدلول التاريخي.

إن محاولة إعطاء تعريف دقيق لظاهرة الحرْكة/ المحلة السلطانية يطرح مجموعة من الإشكالات أمام كل تعريف يروم إلى تحديد معنى الظاهرة كمصطلح شغل حيزا هاما في الوثائق المخزنية أساسا، وفي معظم المصادر و المراجع لتاريخ المغرب عامة. لكن هذا الإستعمال للمصطلحين الذي ظل المخزن يعبر به عن حملة عسكرية أو تنقل مخزني لأغراض معينة، رافقه لبْس كبير على مستوى المعنى، وكذلك على مستوى من قام بمهمة الحرْكة أو المحلة. بمعنى هل

الحرْكة كمصطلح تاريخي ظل مستعملا للتعبير عن الحملة العسكرية التي يقودها السلطان شخصيا، ويدير أمورها بنفسه، أم أن الأمر يتعلق بقيادة أحد أعضاء الجهاز المخزني (القائد) لهذه الحملة؟أم أن كلتا الحالتين ظل المركز(المخزني) وأحوازه (القبائل) يستعملون اللفظ(الحرْكة/ المحلة) دون تمييز لا على مستوى الفعل و لا على مستوى المعنى؟

بل ما يطرح أيضا صعوبة في تجديد هذا المصطلح(الحرْكة) بدقة، هو أن الجهاز المخزني نفسه دأب استعمال لفظ آخر، و هو (المحلة) للدلالة كذلك على معاني من بينها الحملة العسكرية التي تستهدف الإنتقال من المركز إلى الهامش، إذ أصبح استعمال هذين المصطلحين (الحرْكة/ المحلة) في الوثائق المخزنية، وفي بعض الكتابات التاريخية يعنيان نفس الظاهرة، وقد يستعملها المؤلف أو كاتب الوثيقة بكيفية غير تمييزية، الواحد في مكان الآخر[90].

وفي خضم هذه الإشكالية المطروحة أمام كل تعريف، يستوجب علينا تحديد مصطلح(الحرْكة) تحديدا دقيقا.

أما فيما يخص ظهور هذا المصطلح (وقبل الإنتقال إلى محاولة تعريفه) فيبدوا أنه ليس وليد الحقبة الحديثة ولا المعاصرة من تاريخ المغرب، وإنما يمتد إلى عهد المرابطين و الموحدين[91]. كما أن ظاهرة الحرْكات السلطانية لم تنفرد بها السلطة المغربية في ممارسة الحكم[92]، وإنما يمكن أن نلاحظ ممارساته في عدة جهات من أقطار المغرب الكبير ولاسيما في تونس[93].

ويرى بعض الباحثين المغاربة الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة في محاولة لتحليل هذه الممارسة الفعلية المتمثلة في تنقل الجهاز المخزني إلى مجال معين لأغراض محددة سلفا، فالباحث " أعفيف محمد" أفرد لهذه الظاهرة دراسة خاصة، ومن جملة ما تطرق إليه هو محاولة تعريف الحرْكة السلطانية، حيث يعرفها بكونها ظاهرة تنقل الهيئة السلطانية و على رأسها السلطان بين مختلف الأقاليم، ثم الإستقرار في إحدى العواصم لقضاء فصل الشتاء. هذه الظاهرة التي عرفت تاريخيا باسم "الحرْكة السلطانية" أثارت انتباه المهتمين بتاريخ المغرب الحديث و المعاصر[94].

---

[90] المودن عبد الرحمان، "البوادي المغربية قبل الإستعمار قبائل إيناون و المخزن بين القرن السادس عشر و التاسع عشر"، منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص: 310.

[91] نفسه، ص:307.

[92] أعفيف محمد، "الحرْكات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان"، منشورات كلية الآداب بالرباط، العدد 7، 1980م، ص: 47.

[93] المودن عبد الرحمان، "البوادي المغربية قبل الإستعمار"، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1995م، ص: 307.

[94] أعفيف محمد، " الحرْكات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان"، منشورات كلية الآداب بالرباط، العدد 7، ص: 47.

في حين يذهب الأستاذ المودن عبد الرحمان، إلى أبعد من اعتبار هذا المصطلح بمثابة" تنقل الهيئة المخزنية و على رأسها السلطان بين مختلف الأقاليم"[95]. إذ يعتمد في تحديده على الإستناد إلى منطق مقابلة اللفظ بمثله الحرْكة/ المحلة.

وقد عبر المودن عن قوله بخصوص لفظتي الحرْكة / المحلة في الخطاب المخزني، وخلص إلى نتيجة هامة، عبر عنها بقوله: " هذا الفرق في التصور المخزني و الشعبي للفظتين دفعنا إلى محاولة تحديد دقيق، ومختلف للمصطلحين، وقد أسفر استقراؤنا لجملة هامة من الوثائق المخزنية المتعلقة بظاهرة التنقل، عن فرز مستويين: هما المحلة السلطانية، و المحلة غير السلطانية التي نقترح قصر تسمية (الحرْكة) عليها، حتى ننتقل إلى مستوى اللفظ و التمايز الحاصل في مستوى الفعل"[96].

هنا نرى أن المودن اقتصر على المحلة التي لايكون السلطان فيها حاضرا تسمية **الحرْكة** ، ووظف لفظ **المحلة** السلطانية التي يكون فيها السلطان حاضرا، وذلك محاولة منه للإحاطة بظاهرة التنقل و الجولان.

لكن رغم هذا الإرتباك و الغموض الحاصل في تحديد المصطلحين، سنحاول من خلال هذا الجدول تقديم بعض التعريفات التي ربما تقرب الصورة أكثر من هذه الظاهرة التي عرفها المغرب خلال بعض مراحل تاريخه، والتي شغلت حيزا هاما في العديد من الكتابات المهتمة بدراسة الظاهرة:

الكلمة	تعريفها
الحرْكة	مصطلح مخزني يستعمل للتعبير عن الحملة العسكرية التي يقوم بها السلطان أو أحد كبار قواده لتفقد أحوال القبائل أو لتأديبها في حالة العصيان، وتعرف باسم المحلة حين يرأسها السلطان شخصيا.[97]
	جيش قد يكون نظاميا فقط، أومعززا بفرسان ورماة عينتهم قبائلهم استجابة لأمر مخزني يوجه في مهمة.[98]
	تحركات و تنقلات الجيش المغربي بقيادة السلطان.[99]
المحلة	تعرف هذه الحملة العسكرية باسم(المحلة حين يرأسها السلطان شخصيا).[100]
	كانت تستعمل للدلالة على جيش جرار أوكتيبة، كما كانت تستعمل أيضا

[95] المودن عبد الرحمان، مرجع سابق، ص: 308.
[96] نفسه،ص: 312.
[97] القبلي محمد، "تاريخ المغرب تحيين و تركيب"، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011م، ص: 753.
[98] المحمدي علي، " السلطة و المجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران"، دارتوبقال للنشر، الدار البيضاء.ط1، 1989م، ص: 138.
[99] وزارة التربية الوطنية، كتاب منار الإجتماعيات، السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، 2004م، ص30.
[100] القبلي محمد ،المرجع السابق، ص: 753.

بمعنى نزول أو مقر حامية.[101]	
تعني مقر الإقامة، وأيضا الحملة العسكرية.[102]	

جدول 1: تعريف لفظتي الحرْكة/ المحلة السلطانية.

أهم ما يمكن أن نستشفه من خلال هذا الجدول أعلاه، هو أن كل التعريفات تجمع على أن الأمر يتعلق بحملة عسكرية يقودها السلطان أو أحد كبار قواده، و ذلك لتفقد أحوال الرعية و معاقبة القبائل العصية باتخاذها(أي الحملة) المركز كنقطة انطلاق و العودة إليه بعد تحقيق الأهداف المتوخات من هذا التنقل. إلا أن أهم ما يميز هذه الحملة كذلك هو طابعها الإداري المتمثل أحيانا في الفصل في النزاعات بين القبائل المستهدفة بهذه الحرْكة، هذا الفصل الذي يكون إما بأشكال سلمية أو باستعمال طابع القوة وإنزال السطوة على قبيلة من القبائل، وقد يتجاوز هذا الأمر و ذاك إلى تحقيق أهداف سياسية و اقتصادية معينة ومحددة سلفا(مثل جبي الضرائب، و ضمان طاعة القبائل العصية)، وبالتالي فإنه يتعين على حاكم البلاد أن يتنقل عند محكوميه، قصد الحفاظ على الوشائج الهشة التي تشد حياة محلية ما تزال قوية الإنسجام إلى نظام مركزي، عليه أن يجدد استقراره بكيفية مستمرة عن طريق التنقل[103]. وهذا ما يتوافق مع الأهداف السياسية التي تروم الحرْكة أو المحلة إلى تحقيقها.

وبالتالي، فإذا كانت الحرْكات شكل من أشكال ممارسة السلطة كانت تفرض على المخزن التنقل بين مختلف جهات البلاد لممارسة سلطته بشكل مباشر مع القبائل التي لا تنالها أحكام المخزن. فما هي بعض نماذج هذه الحركات التي قام بها السلاطين العلويين خلال نهاية القرن التاسع عشر؟ وبماذا ارتبط تنظيمها؟.

ثانيا: زيارة المولى الحسن الأول لتطوان عام 1889م .

يقول ابن زيدان في" الإتحاف" ما نصه: لما تم أمر البيعة تاقت همته(مولاي الحسن الأول) الأبية إلى التجول في أقطار البلاد و النظر في أحوال الرعية و توطيد الأمن وقطع جرثومة البغي و التمرد.[104]

[101] المحمدي علي، المرجع السابق، ص: 140.
[102] وزارة التربية الوطنية، المرجع السابق، ص: 30.
[103] المودن عبد الرحمان، المرجع السابق. ص: 308.
[104] ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008م، ج2، ص: 162



الموكب السلطاني أثناء الحركة :

من المفيد الإشارة أولا، إلى أن شروع السلاطين في تنظيم الحرْكات، غالبا ما كان يتم ابتداءا من فصل الربيع، وينتهي في غالب الأحيان مع حلول فصل الخريف أو بعد مرور الأسابيع الأولى منه[105]. لكن هذا لا يعني توقف الحرْكات عن القيام بوظائفها في فصل الشتاء، فكثيرا ما خاض السلطان الحسن الأول حملات عسكرية خلال هذا الفصل[106].

وما كان يزيد هذه الحملات العسكرية أهمية هو قوة و كثافة الإجراءات المخزنية قبل انطلاق الحرْكة من مجال معين إلى آخر، ذلك أنه قبيل وصول المولى الحسن الأول لتطوان إبان إحدى حرْكاته" السلمية" والتي انطلقت من فاس يوم 17 شوال 1306ه الموافق لـ15 يونيو 1889م، حسب ابن زيدان في الإتحاف[107]، و10 1306ه حسب الناصيري في " الإستقصا"[108] إلى تطوان ، و التي حلت برحابها سنة 1307ه/ 1889م ، وسيأتي ذكر الإختلاف في تاريخ الدخول كذلك في محور مفصل.

وقبيل وصول المولى الحسن الأول للمدينة، وفد على تطوان عددا من رؤساء القبائل بخيولهم قبل موعد الزيارة السلطانية بنحو ثلاثة أشهر، وأنهم كانوا أثناء إقامتهم بأحواز تطوان يتسابقون على ظهور خيلهم، وكان عددهم كثير[109].

فكانت بذلك فرحة أهل تطوان فرحتان، الأولى قبل وصول السلطان و الثانية إبان و بعد دخول السلطان المدينة، فلكم أن تتخيلوا فرحة سكان أهل تطوان و الأحواز بقدوم سلطانهم لأول مرة لما يصاحب ذلك من بهجة في قلوب الكبار و الصغار، وبدون شك كان الناس ينظرون إلى الحركات و المسابقات بعين الإجلال و الإكبار، وصاروا يشعرون بعظمة المغرب، وفي عظمة المغرب عظمة سلطانه، و دولته. وقد كان _ و مازال_ لمظاهر الخيل و الفروسية التي تمتاز بها القبائل المغربية، تأثير سحري يأخذ بمجامع القلوب، و كان كل ذلك تمهيدا للزيارة السلطانية التاريخية[110].

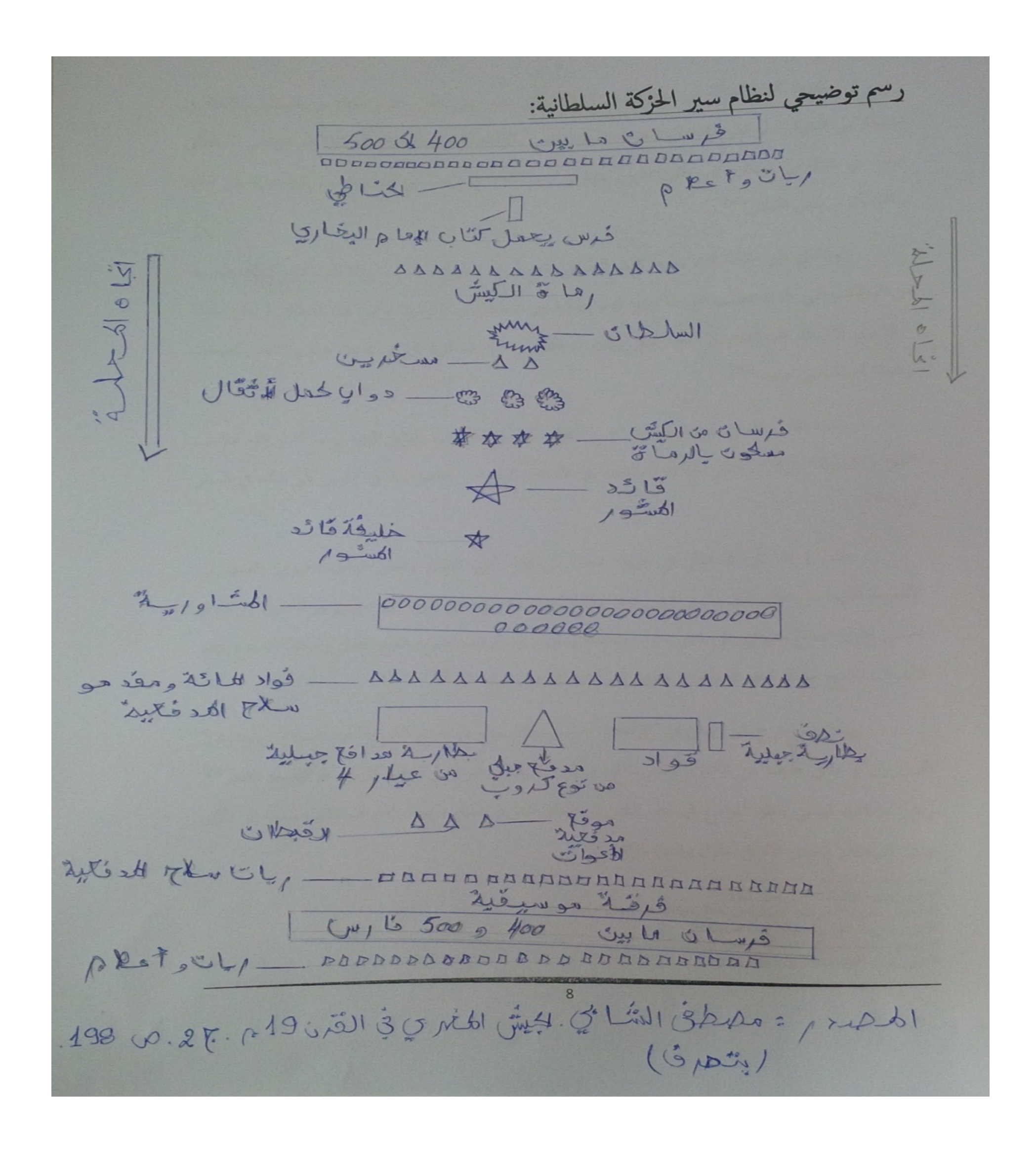
أما فيما يتعلق بنظام انطلاق الحرْكة، فيبدوا أنه لم يكن هناك نظام معين لسيرها، فعادة عند عبور أراضي القبائل الثائرة تتكلف وحدات القبائل بأخذ القيادة من أجل إجلاء كل المخاطر

---

[105] ابن زيدان، العز و الصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية بالرباط، 1961م، ج1، ص:237.
[106] الشابي مصطفى، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830_1912، المطبعة و الوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2008م، ج2، ص: 162
[107] ابن زيدان، "الإتحاف"، ج2، ص: 262.
[108] الناصري(أحمد بن خالد)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،دار الكتاب، الدار البيضاء، ط 1997، ج4، ص: 275.
[109] حسناء (محمد داوود)، زيارة المولى الحسن الأول لتطوان فصلة من كتاب" تاريخ تطوان" للأستاذ محمد داوود، منشورات جمعية تطاويين أسمير، تطوان، 1997م، ص: 9.
[110] نفس المرجع و الصفحة.



على جوانب المحلة، لكن عندما يخاف من المفاجآت من الخلف الخاصة من القبائل البربرية، تعطى الأوامر لهذه الوحدات(القبيلة) بالرجوع إلى الخلف، وعندما تكون هناك حرب ما فإنهم يكونون دائما في الصفوف الأمامية[111]. وفي أثناء سير الحركة، كان الموكب السلطاني ينطلق وفق ترتيب معين حيث كان السلطان يتوسط أفراد حاشيته تحت مظلته و موسيقيين الذين يغنون خلال الثلاث ساعات من الرحلة، وكانت أسلحة السلطان في طريق سير الحرْكة قريبة منه، وخلفه يوجد الحاجب و الوزراء و الكتاب فوق البغال، و الرماة بمدافعهم و أفواج باقي المسخرين مشكلين بذلك حزاما أمنيا[112]. وذلك على الترتيب الذي وجدته عند مصطفى الشابي في كتابه" الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني" ويوضحه الرسم البياني أسفله:



---

[111] أرنو لويس، " زمن المحلات السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860م-1912م"، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، 2002م، ص: 18.

[112] نفسه.

وعندما كانت الحرْكة تمر بمجموعة من القبائل، كان يتعين على المخزن القيام بجملة من الوظائف المتمثلة في استخلاص الضرائب أو فض المنزاعات، حيث يشير صاحب "الإتحاف" في هذا المقام بأنه "إذا كان للجناب السلطاني غرض في قبيلة من القبائل التي يكون المرور عليها أو معهم كلام في واجب و نحوه، فتتقدم إليها سرية من الجند و العسكر و بعض القبائل"[113].

وبالتالي فإن الحرْكة أثناء سيرها كانت لا تكتفي بقطع أدراج الطريق وحسب، وإنما كانت تقوم كذلك بمجموعة من الوظائف التي كانت تتطلب على ما يبدوا لقاءا مباشرا بين السلطان و محكوميه، و من هذا المنطلق لم تكن الحرْكة - كما يرى الأستاذ محمد أعفيف- "مجرد سفر عادي للسلطان او حملة عسكرية بل هي تعدت هذا و ذاك، وأصبحت وسيلة لمعاينة أمور عديدة"[114].

وهذا الأمر المتعلق بممارسة السلطة خارج المجال المخصص لها، نجده يتطابق أيضا مع ما أشار إليه صاحب "العز و الصولة" بقوله : "شأن الجلالة السلطانية في الأشغال الإدارية و الخصوصية في الحضْر هو شأنه في السفر غالبا"[115].

هذا وقد كان السلطان في طريقه- فضلا عن إدارة أمور القبائل وقبض الواجبات- يزور العديد من الأضرحة القريبة من المجال الذي يكون المرور عليه، وذلك للتبرك بأصحابها، ففي طريقه إلى تطوان عبر الشاون زار المولى الحسن الأول الصالح سيدي علي شقور، وتحدث معه و تبرك به، ثم قصد ضريح شيخ الجبل وأستاذ الشيوخ وجد الأشراف الشيخ مولانا "عبد السلام بن مشيش، و كانت زيارته له يوم الجمعة[116].

ويذكر لنا المؤرخ ابن زيدان في "الإتحاف"، أن السلطان وضع في ضريح الشيخ "عبد السلام بن مشيش" ألف ريال و مئاتي طرف من الكتان، وقدم ذبائح، وزوره الشرفاء، وهو راجل، جميع آثار جدهم الشيخ العظيم[117]. وكثيرا ما كانت تسمى بعض المواضع في بعض المدن أو القبائل المغربية بأسماء مرفوقة باسم السلطان، نسبة إلى ذكرى توقف السلطان بإحدى الأماكن خلال إحدى حرْكاته.

---

[113] ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص: 163.
[114] أعفيف محمد، "الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان"، ص: 47.
[115] ابن زيدان، " العز والصولة" ج1، ص: 238.
[116] حسناء(محمد داوود)، "الفصلة" ، ص: 10.
[117] ابن زيدان، "الإتحاف"، ج2، ص: 262.

وصول حرْكة السلطان لتطوان و إشكالية تاريخ الدخول من خلال بعض المصادر:

تشير بعض الدراسات التاريخية إلى عدة إشارات تفيد أنه عند اقتراب السلطان من المجال الذي عزم السفر إليه، وأصبح لا يفصل بين هذا المجال و بين الموكب السلطاني إلا مراحل قليلة، تصدر الأوامر العالية لعامل البلد و من جرت العادة لإعلامهم بذلك فينادى في عموم الأسواق لإشعار العامة و الخاصة ليكون الجميع على أهبة[118].

وقد عرف دخول المولى الحسن الأول لتطوان إشكالا على مستوى التأريخ ليوم دخول السلطان للمدينة، فحسب الناصري في " الإستقصا" يقول: " فدخلها يوم الأربعاء ثامن محرم من عام 1307ه و التي توافق ثالث شتنبر من العام 1889م[119]. كذلك نجد ابن زيدان في "الإتحاف" يتفق مع الناصري في يوم الدخول لتطوان[120]، إلا أنه يختلف معه في تاريخ الإنطلاق من فاس كما سبق الإشارة.

في حين يقول الأستاذ الرهوني في كتابه المحقق " عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" أن تاريخ دخول السلطان الحسن الأول لتطوان هو يوم فاتح محرم من العام 1307ه[121] الموافق للتاريخ الميلادي 27 غشت سنة 1889م،وقد وصف الرهوني هذه الزيارة وصف مشاهد لها.

وفي إطار الحديث عن إشكالية اختلاف التأريخ لتاريخ الدخول، نجد هناك تاريخ آخر في كتاب les relations franco-espagnoles et l'affaire du maroc: le France et l'Espagne au maroc" لمؤلفه "jean alengry " يقول أنه في 8 شتنبر 1889م دخل مولاي الحسن الأول تطوان ثم توجه نحو مراكش[122] .

ورغم هذا الإختلاف في التأريخ لتاريخ الدخول لتطوان، فإن كل المصادر أجمعت على أن مدة إقامة المولى الحسن الأول بتطوان هي خمسة عشر يوما كاملا.

وفي رأي المتواضع أرى أنه من الأجدر لنا السير فيما قاله ووصفه لنا الرهوني باعتباره كان شاهد عيان، و كان من بين الجماهير التي حجت بقوة لملاقاة و استقبال السلطان، حيث يقول ما نصه: وكنت فيما بينهم راكبا بغلا ببردعة، فلما أسفر الصبح، أسفر عن طلعة الأمير" الحسن

---

[118] ابن زيدان، "العز و الصولة"، ج1، ص: 249.
[119] الناصري، "الإستقصا"، ج4، ص: 275.
[120] ابن زيدان ، "الإتحاف" ج2، ص: 262.
[121] أبو العباس الرهوني، "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين"، الجزء الثاني، منشورات جمعية تطاون أسمير، طباعة ألطوبريس،ط2، تحقيق :جعفرالسلمي، 2001م، ص : 91.
[122] Jean alengry."les **relations franco-espagnoles et l'affaire du maroc: le France et l'Espagne au maroc".**p:161. Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France.

الأول"[123] . أي أنه كان من المصطفين لإستقبال و مشاهدة السلطان يوم دخوله تطوان، فاتح محرم عام 1307ه الموافق ل27 غشت 1889م.وهو الذي أعطى لنا و صفا دقيقا لهذه الزيارة الحسنية من ألفها إلى يائها. ويقول أبو يعزى: "أنفع الكلام ما كان إشارة عن مشاهدة، أو إخبار عن شهود".

الموكب السلطاني في تطوان:

عند دخول السلطان المدينة استقبل من طرف واليها القائد أحمد الخضر السلاوي، وبعده قاضي المدينة محمد عزيمان، ثم بعد ذلك توالت الإستقبالات من طرف الشرفاء و العلماء و الأعيان وسائر الطبقات الموجودة بالمدينة[124] ، ولم يستثنى منها اليهود المغاربة الذين حجوا بكثرة لإستقبال سلطانهم، إلا أنهم عوملوا بنوع من الإحتقار و الإقصاء، كوقوفهم على الجانب الأيسر في الممر السلطاني لإعتبارهم أهل الشمال من طرف المغاربة المسلمين[125].

وكان نزول السلطان بالدار المخزنية في المشور السعيد، وقصد وزراءه وحاشيته بيوتات كبراء المدينة، فحضوا بمنزلة تشرف مقامهم وتليق جنابهم[126].

وبعد أن أقام السلطان بضعة أيام في المدينة،وبعد أن يصدر رسائله لمختلف أقطار البلاد يبلغهم بأطوار السفر وبحلوله بالمكان الذي عزم التوجه إليه، كان يخصص أوقاتا لإستقبال وجوه أناس بصفة خاصة،فاستقبل الفقيه سيدي الحاج أحمد السلاوي ثم الحاج محمد اللبادي و أخاه، ثم الأمين محمد بريشة، ثم أولاد أشعاش مجتمعين ، وباقي وجهاء وكبراء المدينة من قضاة (علي عزيمان)، وعلماء و أشياخ و الأعيان، وذلك كله كان بروض دار المخزن بالمشور السعيد[127].

وتجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أن السلاطين كانوا - على ما يبدوا- خلال تنقلاتهم لا يكتفوف فقط بالنظر في الأحوال المتعلقة بسياسة البلاد الداخلية، وإنما قد يخصصون يعض أوقاتهم خلال زيارتهم لمنطقة ما لإستقبال بعض سفراء الدول الأجانب المقيمين بذلك البلد أو غيره، قصد تسوية بعض الأمور المتعلقة بسياسة البلد الخارجية. ففي زيارة المولى الحسن الأول لتطوان هذه، خصص هذا السلطان أوقاتا لإستقبال وجوه الناس بصفة خاصة، فقد وفد على تطوان سفيرا إيطاليا و بلجيكا، فاستقبل السلطان كل واحد منهما استقبالا رسميا بساحة الفدان، حيث قدما له أوراق

[123] الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، ج2، تحقيق جعفر السلمي، ص: 91.

[124] **حسناء داوود, "الفصلة"، ص: 11.**

[125] **العيادي رضوان، زيارة السلطان مولاي الحسن الأول لتطوان من خلال الصحافة البريطانية، ضمن أعمال ندوة: تطوان قبل الحماية 1860-1912م، منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية بتطوان 1992م، مطبعة الهداية، 1994م، ص ص: 174 -181.**

[126] **حسناء داوود، المرجع السابق، ص: 12.**

[127] **نفسه، ص: 15.**

اعتمادهما في هذين الإستقبالين، حتى إذا ما قابلاه في طنجة(مقر النيابة) مع بقية السفراء الأجانب، كانا معرفين مقبولين كغيرهما من سفراء الدول[128].

كذلك خصص السلطان أياما لزيارة الأولياء و الصلحاء بتطوان و ضواحيها، وذلك جريا للعادة المخزنية منذ القديم، فزار السلطان مع حاشيته ضريح أقرب ولي من الدار المخزنية، وهو ضريح سيدي عبد الله الحاج البقال، ثم بعده ضريح سيدي مصباح، وضريح علي بن ريسون، وضريح سيدي المنضري... وقد ذبح على كل ضريح من تلك الضرائح ثورا تصدق بلحمه على الضعفاء و المساكين، أما الزاوية الريسونية فقد ذبح بها ثورين اثنين، و التي لم يزرها لبعدها أرسل إليها الذبائح فنال الفقراء منها ما ملأ بطونهم مرقا و لحما، وأفئدتهم فرحا و سرورا، وألسنتهم شكرا و ثناء[129]. ناهيك عن الهدايا التي تبادلها السلطان مع أهل تطوان، من ملابس و أموال، و أكرم الطلبة ، وكسا المخزنية و البحرية و الطبجية و وصل الجميع[130].

لكن ما يثير التساؤل عند الحديث عن الحرْكات المخزنية خاصة خلال الفترة المدروسة، هو مسألة تموين أفراد هذه الحرْكة، وذلك من حيث ضمان توفير الطعام للعدد الكبير من هؤلاء الأفراد المرافقين لها؟

يقول مصطفى الشابي في هذا الصدد أن المؤونة كانت تفرض على المنطقة التي قصدها السلطان من حيث قيامهم بإطعام العاملين مع المخزن عند حلولهم بالمكان المقصود لتنفيد مهمة ما، وتكون هذه المؤونة إما عينية أو نقدية، وفي بعض الأحيان هما معا[131].

ومن بين الأعمال التي قام بها السلطان بالمدينة، هي إعطاء الأمر بإصلاح أملاك الأحباس، وبناء قنطرة المحنش، ناهيك عن بناء الأبراج ، وتوسيع الزوايا (الزاوية الريسونية)، لكن مع الأسف معظم هذه الأعمال تأخر تنفيدها ، ومنها من لم ينجز[132].

والجدير بالذكر أن جلالته بعد هذه الزيارة مباشرة أرسل ولده مولاي عمر إلى تطوان لدراسة العلم على شيوخها، وذلك بناء على رغبة بعض أعيان المدينة، فأقام لهذه الغاية معززا مكرما سنتين كاملتين[133].

---

[128] حسناء داوود، " الفصلة"، ص: 15.
[129] حسناء داوود،"الفصلة"، ص: 14.
[130] نفسه، ص: 19.
[131] الشابي مصطفى، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، ج2، ص: 206.
[132] حسناء داوود، "الفصلة"، ص ص: 22/ 23

ثالثا: المجتمع التطواني خلال الزيارة الحسنية.

1. رصد أجواء استقبال السلطان:

جرت العادة في استقبال السلاطين و الأمراء، خروج الناس على اختلاف طبقاتهم لإستقبال ورود جلال السلطان[134]. وفي هذا الصدد نلمس من زيارة المولى الحسن الأول لتطوان سنة 1307ه/ 1889م آثار الإحتفالات الكبيرة التي أقامها أهل البلد على شرف الزيارة السلطانية لبلدهم، كما نستشف العادات و التنظيمات التي كان يستقبل بها السلاطين عند قدومهم على مجال معين. حيث قضى أهالي تطوان الليلة التي سيدخل فيها السلطان المدينة في صبيحتها أيقاضا فرحا بزيارة السلطان و استعدادا للقاه،وفي صباح ذلك اليوم خرجت تطوان بأسرها لإستقبال السلطان المحبوب، وماج الناس بعضهم في بعض، ثم نظمت المواكب و رتبت الصفوف و قصد الجميع طريق السلطان، وقد توارت الوفود من القبائل المحيطة بتطوان، ودقت الطبول، وارتفعت الأصوات بالأذكار و الدعوات، وعلت البنادق و المكاحل فوق الكواهل، وبعد استقبال السلطان، ولى الجميع وجهه شطر تطوان، وقد صدحت الموسيقى السلطانية، ثم تقاصفت رعود المدافع من كل برج، فرحا بأمير المؤمنين، وتكهرب الجو، وغمرت الناس من الفرح موجات[135].

وفي إطار الحديث عن استقبال الناس السلطان عند الدخول للمدينة، يجب الوقوف عند مسألة مهمة وهي الجماعة اليهودية التي أمرت بالوقوف عمدا على يسار الطريق المؤدية إلى المدينة، وعند مرور السلطان و اقترابه منهم أمروا بخلع نعالهم! جريا للعادة. وقد تعرض اليهود لكثير من الشتم و سوء المعاملة[136]. ووقوف اليهود على يسار الطريق المؤدية إلى مدينة تطوان له أكثر من دلالة، و لعل أبرز هذه الدلالات دلالة عقائدية، فاليهود ليسوا من أصحاب اليمين في المعتقد الإسلامي[137]. والواقع أن سعي اليهود من استقبال السلطان و تلويحهم بالأعلام وغنائهم له يوحي في الحقيقة بتعبيرهم عن وفائهم له.

وقد أسهبت الصحافة البريطانية في وصف هذه الزيارة من خلال جريدة times of morocco حيث كان هذا الوصف في عمقه محملا بأحكام القيمة حول مجموعة من الأشياء رافقت هذا الإستقبال، وفي وصف لها للسلطان عند الدخول" كان يرتدي لباسا مراكشيا عاديا، وكان سرج فرسه الأبيض مزركشا بالنحاس. لقد كانت ابتسامته بهيجة، وإن كان وجهه يبدو عليه

---

[133] إشارات حول الإشعاع الفكري و الحضاري لمدينة تطوان، مجلة دعوة الحق، العدد: 227.

[134] ابن زيدان. العز و الصولة، ج1، ص: 249.

[135] حسناء داوود، " الفصلة"، ص: 11.

[136] العيادي رضوان، زيارة مولاي الحسن الأول لتطوان من خلال الصحافة البريطانية، ص: 175.

[137] نفسه. ص: 176.

بعض الغبار من جراء السفر... عل العموم فإن مظهر السلطان كان مخيبا للآمال ليس بسبب نقص في التمجيد و البهرجة، ولكن بسبب نقص في النضافة."[138]

ولعل خيبة الأمل التي أصابت مراسلtimes of morocco من جراء مظهر السلطان، تجد تفسيرها المناسب في الخلفية التاريخية و السياسية للرحلة السلطانية إلى المنطقة الشمالية[139]. فالحدث الذي نحن بصدده(حدث الزيارة السلطانية) يصنع خبرا لأنه يتعلق بتحركات أسمى شخصية في البلاد، وأيضا لأن هذه الزيارة كانت تكتسي أهمية شديدة في نظر بريطانيا، خاصة إذا علمنا أن الزيارة جاءت بعد مرض أرقد السلطان فراشه، مما أثار احتمالات كثيرة حول مآل المغرب[140].

خاتمة

انطلاقا مما سبق، يمكن القول أن ظاهرة الحرْكات شكلت خلال مغرب القرن التاسع عشر وسيلة المخزن الفعالة في إقرار السلطة في العديد من مجالات البلاد، ورغم أنها كانت تكلف المخزن عناء السفر و تكاليف التنظيم، إلا أنها كانت تحقق له نجاحا كبيرا على مستوى التحكيم أو على مستوى ضمان موارد مالية لتسيير شؤون البلاد، هذه الموارد كان المخزن يحصل عليها في الغالب من القبائل أو المدن أثناء كل حركة تستهدف جهة معينة.

وما يمكن استخلاصه من زيارة المولى الحسن الأول لتطوان هو:

- أن الحرْكة الحسنية طوال مراحل كانت أكثر انتظاما وفعالية، رغم أنها كانت تكلف المخزن الحسني طاقات بشرية و مادية هائلة لتنظيمها.
- لم تكن الحرْكة مجرد تنقل عادي، وإنما كانت تحرص على تحقيق العديد من الأهداف خلال تنقلها، أهداف لا تخرج عن دائرة ممارسة السلطة بمعناها الكامل.
- كان لقاء أهل تطوان بالسلطان سابقة في تاريخهم و تاريخ مدينتهم، فأصبحوا يؤرخو لتلك السنة، بسنة الزيارة الحسنية.
- طرحت هذه الزيارة للمنطقة الشمالية العديد من التساؤلات لدى الدول الإمبريالية في تلك الفترة.

---

[138] نفس المرجع و الصفحة.
[139] نفسه، ص: 178.
[140] نفسه، ص: 175.

لائحة المصادر و المراجع:

Jean alengry.*les relations franco-espagnoles et l'affaire du maroc: le France et l'Espagne au maroc*. paris: / Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France.

ابن زيدان. (1961). العز و الصولة في معالم نظم الدولة. الجزء1. الرباط. المطبعة الملكية.

ابن زيدان عبد الرحمان. (2008). إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. الجزء 2. ط1. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية.

أبو العباس الرهوني. (1997). عمدة الراوين في تاريخ تطاوين. تحقيق جعفر السلمي. الجزء الثاني. تطوان. جمعية تطاون أسمير.

أرنو لويس. (2002). " زمن المحلات السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860م-1912م" ترجمة محمد ناجي بن عمر . إفريقيا الشرق.

أعفيف محمد. (1980). "الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان" . الرباط. منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية. العدد 7.

الشابي مصطفى. (2008م). الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830_1912.ط1. ج2. مراكش. المطبعة و الوراقة الوطنية.

العيادي رضوان. (1994م). زيارة السلطان مولاي الحسن الأول لتطوان من خلال الصحافة البريطانية. ضمن أعمال ندوة: تطوان قبل الحماية 1860-1912م، منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية بتطوان 1992م. تطوان. مطبعة الهداية.

القبلي محمد. (2011م). "تاريخ المغرب تحيين و تركيب". الرباط: منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب.

المحمدي علي. (1989م). " السلطة و المجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران".ط1. الدار البيضاء. دارتوبقال للنشر.

المودن عبد الرحمان. (1995). "البوادي المغربية قبل الإستعمار قبائل إيناون و المخزن بين القرن السادس عشر و التاسع عشر. منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية بالرباط . الدار البيضاء. مطبعة النجاح الجديدة.

الناصري أحمد بن خالد. (1997). الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الجزء الرابع. الدار البيضاء. دار الكتاب.

حسناء داود. (1997). زيارة السلطان المولى الحسن الأول لتطوان. فصلة من كتاب الأستاذ محمد داوود "تاريخ تطوان". تطوان. جمعية تطاون أسمير.

إشارات حول الإشعاع الفكري و الحضاري لمدينة تطوان العدد: 227. مجلة دعوة الحق.

تاريخ المغارب



المجتمعات المغاربية في الكتابات الأجنبية الأسرى المسيحيون خلال القرنين 17-18م



هشام مرزوق
باحث في تاريخ المغرب

إن الحديث عن قضية الأسرى في المغارب خلال القرن 17 و 18 هو سفر في رحاب الزمان والمكان عبر تسليط الضوء على مكون هام من مكونات مجتمع المغارب.

مكون أهملته الدراسات التاريخية الكلاسيكية التي اهتمت بالحدث السياسي والعسكري وأحوال الملوك و العلماء والأدباء ورجال الدين، وبذلك أسدل الستار عن فئات عريضة من المجتمع التي أريد لها أن تقبع في زاوية النسيان، رغم الأدوار الكبيرة التي قامت بها داخل المجتمع، فجاءت المصادر التاريخية التقليدية شحيحة ولم تف بالمطلوب، إذ غابت الرؤية الواقعية لمسار حركة التاريخ، والعوامل الأساسية التي تحدد صيرورته، وتوجه اهتمامه نحو ضبط إيقاع



السياسة، عبر رعاية الحدث والاقتصار على النخب الصانعة للقرار دون محاولة الربط الجدلي بين السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي لتفسير ظواهر مختلفة داخل المجتمع.

ويندرج موضوع المقالة –الأسرى المسيحيين في المغارب خلال القرن 17 و18- ضمن حقل التاريخ الاجتماعي، على أساس انه يدرس فئة اجتماعية في إطار علاقتها بمحيطها وبمكونات المجتمع وتعاطيها مع مجتمع غريب عن بيئتها، مع استحضار البعد التاريخي الذي يروم دراسة تطور الظاهرة في الزمان والمكان.

إن قضية الأسرى ليست بالأمر الجديد، أو المستحدث، بل إن جذورها ضاربة في عمق التاريخ، حيث تحدد الإحصائيات نسبتهم بأكثر من 20 % بالمغرب بين الاسرى المسيحيين والعبيد القادمين من إفريقيا، وان غلب على تلك الإحصائيات الافتراض و التخمين فهي تعطي صورة عن حجم الأسرى في تلك الفترة، وقد اشتغل هؤلاء الأسرى في مجالات مختلفة كالفلاحة والأشغال الشاقة، ومنهم من اشتغل خادما داخل البيوت في المدن والإدارات وبلاطات القصور عند السلاطين، وفي هذا الصدد يمكن أن تبرز ملامح الإشكالية العامة لهذا المساهمة حول **أهمية إستغرافية الرحلات والمذكرات في تاريخ المغارب، والسلطة والمجتمع والاقتصاد في المغارب من خلال مذكرات الأسير موبط وكاثكارت.**

سؤال يبقى مفتوحا على كل الاحتمالات والقراءات في ظل غياب من يوضح أن القرصنة البحرية كانت هي المصدر الوحيد، مع العلم أنها لم تكن لها أهمية كبرى في تلك المرحلة خصوصا من قبل السلطة والمخزن بالقدر التي حظيت به من طرف الدول الأوربية والتي عادت لها بأرباح وفيرة، ذلك أن البحر إلى حدود القرون الحديثة ، كان يشكل حاجزا في الذهنية المغربية، وحدا فاصلا بين المغارب والدول الأوربية، واستمر الوضع على ما هو عليه إلى حدود ظهور الاكتشافات الجغرافية ، حيث زال ذلك الحصار وتحول البحر إلى فضاء للتجارة و التبادل.

من هنا يتضح أن قضية الأسرى المسيحيين بالمغارب، قضية مهمة في تاريخ الدول المغاربية حيث سنحاول أن نتناول بالدراسة والتحليل الفترة المتعلقة بالقرن السابع عشر والثامن عشر،من خلال التطرق لأسيرين أجنبيين، الأسير جرمان مويط بالمغرب، والأسير كاثكارت بالجزائر خلال الحكم العثماني .

إذ رغم محدوديتها في الزمان، إلا أنها ستمكننا من رسم صورة عن مؤسسة الأسرى التي انتشرت رغم الإدانة الواسعة من طرف الحكومات الأوربية والجمعيات المناهضة للقرصنة البحرية ونشاطاتها، وعقدت لها مؤتمرات من أجل القضاء على نشاطها خصوصا في الحوض المتوسطي.

وقد انصبت هذه المقالة حول هذا الموضوع في محاولة متواضعة لمقارنة الظاهرة عبر استحضار منهجية المقارنة، بغرض التفسير والوقوف على نقاط التشابه والتقاطع والاختلاف والتباين في كل من المغرب والجزائر، انطلاقا من نظرتي كل من **الأسير مويط والاسير كاثكارت** خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وكما يرى مارك بلوك أن تحقيق هذا المطلب يحتاج إلى قدر من التجانس والتشابه بين الوقائع والأحداث التي نتجه إلى مقاربتها، وعلى قدر من الاختلاف بين تلك الأوصاف والأماكن، هذه الشروط يوفرها لنا الفضاء المغاربي بحكم القرب الجغرافي، والمعاصرة الزمنية.

ولجوؤنا إلى استعمال هذا المنهج لدراسة الموضوع نظرا لمزاياه المتنوعة على المستوى الوظيفي والمعرفي، إذ سمح لنا بالكشف عن القضية من زوايا مختلفة، إضافة إلى وظيفته التفسيرية التي غاصت إلى عمق القضية المتعلقة بالأسرى الأوربيين، ولم تكتف بالسرد والوصف للوقوف على إشكالات جوهرية، ومحاولة معالجتها، إضافة إلى الوظيفة التي تقينا الوقوع في تفسيرات خاطئة.

أهمية رحلتي الأسيرين مويط و كاثكارت.

من المعلوم أن القرن السابع عشر والثامن عشر، شهد أسر عدد كبير من المسيحيين إما في عرض البحر – وأغلبهم أسر هناك- أو انطلاقا من الثغور[141]. وقد استغل كل من الأسيرين مويط وكاثكارت وجودهما بالمغارب (مويط بالمغرب وكاثكارت بالجزائر). فانكب على تدوين ما يروه ويسمعونه .

[141]- الدحاني عبد الإله، **مصادر المعرفة التاريخية الاوربية حول المغرب خلال القرن الثامن عشر.** ضمن **الرحلة وصورة الأخر : قراءات في نصوص الرحالة الأوربيين حول المغرب.**تأليف جماعي ، تنسيق و تقديم كريم بجيت. منشورات دار الأمان مطبعة الأمنية الرباط 2013 ص : 19 .

ونتيجة لذلك، توفرت لدينا معلومات غزيرة تميط اللثام عن وضعية الأسرى بالمغارب، والمعاملة التي كان يلقونها، والجهود التي بدلها رجال الدين والمنظمات لافتدائهم، بالإضافة إلى معطيات تتعلق بالمجتمع المغاربي من حيث مكوناته، وعدد سكانه ومميزاته الثقافية . وإذا أخذنا في الاعتبار انا الوثائق المغربية والجزائرية تفتقر إلى مثل هذه المعطيات، سندرك الاهمية القصوى لهذه الكتابات.

حقيقة هذه الكتابات ليست كلها بنفس القيمة العلمية، فكثير منها مليء بالتحامل على المغاربة والمسلمين، فإن هناك سلبيات لا يصعب على القارئ تحاشيها أو التحرر منها[142]، كاستنتاجات المؤلفين المتحاملة على إيديلوجية المجتمع المغاربي.

لكن بالرغم من هذه السلبيات، فإنها تعد ضرورية لتغطية النقص الحاصل الذي يعتري كتاباتنا فيما يخص المعلومات التاريخية[143] والأحداث حول المجتمع المغاربي.

أ- رحلة الأسير مويط

الأسير مويط فرنسي من باريس له قدرة على الكتابة والاسترسال فيها وفضول اجتماعي يدفعه إلى التعرف على ما يراه أو يسمع عنه، مع ميول دينية كاثوليكية قوية، في درجة التعصب والخروج عن حدود الموضوعية في تعامله وحكمه على غير المسيحيين، لا سيما المسلمين الذي ينعتهم بالكفار[144].

خرج مويط من مسقط رأسه في اخر يوم من يوليوز سنة 1670 وهو ما يزال في مقتبل العمر قاصدا أمريكا التي كانت مطمح نظر الشباب الأوربي، لكنه أسر في البحر من طرف قراصنة سلا (المجاهدين السلاويين)[145]، وسيق إلى مدينة سلا مع جملة من الأسرى الذين بلغ عددهم أربعين رجلا وأربع نساء .

مكث مويط أسيرا في المغرب احد عشر عاما، تنقل خلالها بين مدن سلا وفاس ومكناس والقصر الكبير و تطوان، وخدم الخواص في البداية، ثم أصبح من أرقاء المولى الرشيد ثم المولى

---

[142]- حجي محمد، **رحلة مويط،** ضمن أعمال ندوة جامعة مولاي علي الشريف الدورة الثانية، الريصاني ، دجنبر 1989 ص 53

[143]- الدرحاني، مرجع سبق ذكره ص 20

[144] - حجي محمد ، **الجيش والأسرى في كتابات مويط** ، ضمن أعمال ندوة جامعة مولاي علي الشريف الدورة الثانية، الريصاني ، دجنبر 1990 ص 16 .

[145] - نفسه .

إسماعيل إلى ان تم تحريره فرجع إلى باريس في 19 يوليوز 1681. وهناك ألف كتابين عن المغرب أولهما سماه تاريخ مولاي رشيد ومولاي إسماعيل ملكي فاس ومراكش وتافيلالت والثاني أخبار أسره سماه رحلة الاسير مويط في بلاد البربر، ويعرف في قوائم المراجع التاريخية برحلة مويط[146].

تم طبع هذه الرحلة لأول مرة بباريس سنة 1683، وتمت ترجمتها إلى اللغة العربية سنة 1990 من طرف الأستاذين محمد حجي ومحمد الأخضر[147]. وقد دون ما حفظته ذاكرته بعد سنتين من الافتداء سنة 1681 . معلومات غزيرة ومتنوعة عن المغرب خلال السنوات الأولى من حكم المولى إسماعيل، فوصف المدن المغربية مثل مكناس وسلا، ووصف دور المغاربة وعاداتهم في اللباس والأكل خاصة وجبة الكسكس. كما أفرد حيز من كتابه للحديث عن وباء الطاعون الذي اجتاح المغرب سنة 1678 ودام ثلاث سنوات، وذكر النتائج التي خلفها على المجتمع المغربي وعلى الأسرى الأوربيين .

لذلك عمل مويط على تقديم ما اعتبره معلومات مفيدة لمواطنيه حول هذا الجانب، وقد كان الدافع لتأليف رحلته في الأسر، هو زيارة سفير المولى إسماعيل إلى بلاط لويس الرابع عشر، حيث أبرمت معاهدة مغربية فرنسية. "كان لهذه السفارة المغربية صدى واسع في فرنسا ، أثارت ذكريات مويط، فأراد أن يعرف قومه بالمغرب والمغاربة وكتب رحلته أو قصته هذه"[148].

تتركب الرحلة من ثمانية عشر فصلا، خصص المؤلف الفصول العشرة الأولى لأخبار أسره وما شاهدة في المغرب من مدن وأشخاص وعادات. أما الفصول الستة التالية فذكر فيها أخبار أسرى آخرين من فرنسا واسبانيا والبرتغال تعرف عليهم أثناء وجوده بالمغرب وروي عنهم أخبار مغامرتهم التي يغلب عليها الطابع العاطفي الأسطوري، ومع ذلك لا تخلو من إشارات تاريخية مهمة ومفيدة عن العصر العلوي الأول . وخصص الفصل السابع عشر من رحلته للحركة التجارية في موانئ المغرب كتطوان وأصيلا والقصر الكبير، والمعمورة، وسلا، وازمور، والوليدية، وأسفي، وأكادير، داعيا الحكومة الفرنسية إلى توثيق الصلات بهذه المراكز وتقوية المبادلات التجارية معها، بتصدير المنتجات الفرنسية إليها، وجلب البضائع المغربية منها.

[146] - نفسه ص 17

[147] - جرمان مويط، رحلة الأسير مويط، ترجمة محمد حجيومحمد الاخضر، الريصاني، 1990 .

[148] حجي ، رحلة مويط . مرجع سبق ذكره ص 50

وفيما يخص الأهمية من رحلة الأسير مويط، فإن معظم الكتاب عبارة عن ارتسامات مؤلف ومشاهداته وحديثه مع الناس، أو روايات عن أسرى آخرين. قال أنه يثق بهم – ظل بعض في المغرب ثلاثين سنة – ومما يلاحظ أن هذه المشاهدات والارتسامات والروايات لا تتناقض لا مع منطق الأحداث ولا مع الواقع بالنسبة للثوابت، بذبك فهي في غاية الأهمية، لا سيما وقد انفرد بها كلها تقريبا لأنها ليست من صنف الأحداث التي يهتم بها مؤرخونا .

ب- مذكرات الأسير كاثكارت .

"جيمس لندر كاثكارت: مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب"، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر 1982. وكاثكارت الأسير الأمريكي بالجزائر العثمانية ولد بتاريخ 1 يونيو 1767م، ومات بتاريخ 6 اكتوبر 1843م في إيرلندا. غير انه سافر إلى أمريكا وعمره ثماني سنوات. والكتاب من ترجمة إسماعيل العربي المؤرخ والمحقق الجزائري.

تعرض الأسير كاثكارت للأسر على يد القراصنة الجزائريين، حينما استولوا على سفينة " ماريا بوسطن" في شهر يونيو سنة 1785 التي كانت تقلهم على بعد ثلاثة أميال من الجنوب الشرقي من رأس **" سانت فاسانت"**، وقد كانت " ماريا بوسطن" أول سفينة أمريكية تقع في يد القراصنة الجزائريين.

تشتمل مذكرات الأسير كاثكارت على تجارب والمشاهد التي عاشها خلال فترة أسره في الجزائر بين عامي 1785 و 1796م، وقد حررت الكتاب ابنة الأسير كاثكارت السيدة **"ج. نيوكيرك"** . نشر الكتاب باللغة الأصلية لأول مرة سنة 1899 أي بعد نصف قرن من كتاباته (والأسير كاثكارت توفي سنة 1843).

يتحدث صاحب الترجمة عن أهمية الكتاب، "فهي بالغة الأهمية، بما يقدمه من المعلومات وأكثرها مما يصفه شاهد عيان للأحداث. وانه ليكفي للتأكد من ذلك أن نعرف أنه المرجع الأول الذي كتب في موضوع العلاقات المغربية الأمريكية"[149] .

[149] - كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص 4 .

تطرح مسألة أهمية المذكرات الشخصية في التاريخ، عدة تساؤلات، "كونها متفاوتة القيمة وتتوقف أهميتها على عوامل عديدة ولا يمكن التعويل عليها كثيراً كمصدر لكتابة التأريخ إلا بعد نظرة تحليلية فاحصة، يتم من خلالها الإحاطة الدقيقة بشخصية كاتبها وموقعه ودوره في الأحداث التي يتحدث عنها وبالتالي مدى اطلاعه على تفاصيل تلك الأحداث ومدى التزامه بالموضوعية والحيادية في سرد مذكراته وهى شروط قد لا تتحقق إلا نادراً، ذلك لأن المذكرات والسير ذات طابع ذاتي ومن الصعب على أي إنسان أن يتجرد من أهوائه وميوله وآرائه ورؤيته للحياة خلال تدوين تفاصيل الأحداث، التي كان طرفاً فيها"[150].

المذكرات الشخصية، ليست توثيقاً غير منحاز لحوادث الماضي ولكنها اعترافات وتبريرات واتهامات وتأملات شخصية وذاتية. ليس ذلك نقصاً ولا مثلمة فيها، بل صفة ملازمة لها والتي تعكس بصمات المؤلف والزمن الذي عاش فيه. صاحب المذكرات يود في المقام الأول أن يظهر أو يبرز دوره في الأحداث التي يسردها وعلاقة هذه الشخصية المهمة او تلك بصاحب المذكرات. المصدر الرئيس لصاحب المذكرات هو ذاكرته الشخصية ومن المهم ملاحظة مدى إمكانية الاعتماد عليها ومدى قدرة المؤلف على تقديم المعلومات عن الحدث بدقة، رغم أن التزام الصمت بصدد بعض المعلومات وعدم التطرق إليها لا يدل على ضعف الذاكرة. بل يشير إلى وجود شكل ما من أشكال الرقابة الرسمية أو الذاتية.

وتكتسب المسافة الزمنية الفاصلة بين وقوع الحدث وبين تأريخ الكتابة عنه أهمية كبيرة وكلما كانت هذه المسافة أكبر كان احتمال التحريف وضياع التفاصيل ونسيان الأسماء أكثر. ومن ناحية أخرى فأن وجود فترة زمنية معقولة يفصل بين تأريخ وقوع الحدث وزمن تسجيله، يسمح بتقييم الماضي بهدوء أكثر والنظر بموضوعية إلى الذات وتمييز المهم عن غير المهم. إحدى الطرق الفعالة لتدقيق تكامل وصدقية المذكرات هي مقارنتها مع المصادر الأخرى التي لها علاقة بالحدث الذي يتحدث عنه المؤلف.

ومن الأهمية بمكان، معرفة المصادر التي استقى منها صاحب المذكرات معلوماته حيث انه لا يكتفي في العادة بما يختزنه ذاكرته الذاتية، بل يستعين بمصادر إضافية من اجل إحياء

150 - جودت هوشيار، **المذكرات الشخصية و كتابة التأريخ**، الحوار المتمدن-العدد: 3863 - 2012 / 9 / 27 - المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات .

واستعادة مجرى الحدث في ذاكرته وتكامل شرح تلك الأجزاء التي لم يشارك فيها شخصيا وأخيرا لتعزيز آرائه وتبرير مواقفه.

يرد مترجم **مذكرات كاثكارت** في تقديمه للكتاب على كل الانتقادات التي تطرحها مسالة توظيف المذكرات الشخصية في كتابة التاريخ. " والشيء، الذي يجب أن يعرفه القارئ منذ ألان، هو أن كاثكارت – على عكس الكثيرين من كتاب المذكرات الذين يحاولون تبرير أعمالهم أو يلقن على أنفسهم أكاليل الزهور – لم يسجل يومياته لتنشر ولكي يعرف مواطنوه ما قدمه من خدمات لوطنه ومن مساعدات لزملائه المنكوبين في الأسر، و يستفيد من ذلك مالا ومجدا. كلا ! فإن كاثكارت لم ينشر مذكراته في حياته، وإنما تولت ابنته، بعد وفاته بنحو نصف قرن من الزمن"[151].

أما فيما يخص المعلومات التي تقدمها مذكرات الأسير كاثكارت، فيمكن تصنيفها بشكل مختصر- سنتطرق غلى المذكرات بالتفصيل خلال الفصل الثالث من البحث-، إلى خمسة مستويات:

1- العلاقات الجزائرية الأمريكية .
2- علاقات الجزائري بالدول الأوربية
3- وصف المؤسسات والمنشآت العمومية
4- عادات وتقاليد المجتمع الجزائري
5- الانطباعات الشخصية.

على سبيل الختم

من خلال دراستنا لرحلتي وتجربتي الآسرين **مويط** والأسير **كاثكارت**، يمكن أن نخرج بمجموعة من الخلاصات تعبر عن أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها على مستوى السياق التاريخي لهاتين الرحلتين، ومضمونهما وعملية المقارنة بينهما على مستوى الخطاب. وهذه الخلاصات هي كالتالي:

تعتبر كتب الرحلات والمذكرات الشخصية من الكتب المفتوحة على تخصصات معرفية وفنية متعددة، وهي تتميز بنمطها الخاص في الكتابة، المتمثل في قدرتها على رسم ملامح الأزمنة

---

[151] - كاثكارت، الترجمة ، مرجع سبق ذكره ، ص 5 .

والأمكنة، خارج مقتضيات النمطية المعتادة في الكتابة البحثية بمختلف مجالاتها، أو الكتابة الإبداعية بطابعها المعتمد على كفاءة التخييل.

على مستوى مضمون و محتوى الرحلات والمذكرات، فهي لا تقدم معطيات متجانسة، فمادة الرحلة والمذكرات تَعْرِضُ لموضوعها المباشر، أي لمناسبتها وسياقها، وتعكس أيضاً معطيات أخرى لها صلة بأكثر من موضوع. مما يحولها إلى فضاء لتداخل لغات ومعطيات متنوعة.

و هذا هو المبرر الذي يقف وراء اعتماد المؤرخين على كتب الرحلات والمذكرات، عند بنائهم لتاريخ المجتمعات، حيث تشكل الإشارات والأوصاف والروايات التي تقدمها مادة الرحلة، جملة من العناصر، التي يمكن اعتمادها في بناء الأزمنة والتواريخ، في استمراريتها وانقطاعها.

على مستوى بنية الكتابين.

في كتاب مذكرات للاسير كاتكارت، أن هذا الاخير لم نلمس بناء وتركيب للمفاصل الكبرى للكتاب، في سياق ترتيب ملامح ومظاهر التي كان يعيشها المجمع الجزائري، حيث تحضر معادلة الذات والآخر، الجزائر وأمريكا بصورة مركزية، بل إن هيمنة خلفيته التكوينية كدبلوماسي، حولت كتابه إلى ميدان لاستعراض الدلائل والحجج الكفيلة بإطلاق سراحه من الأسر، فتابعها دون كلل، بكثير من الحرص والتدقيق، الكتاب لم يكن مرتبا بشكل يجعل القارئ يلمس القضية المركزية للمذكرة، فهو تارة يتحدث عن ظروف أسره في الفصل الأول ويعود في الفصول الأخير للحديث عن نفس الموضوع.

أما الأسير مويط فقد تناول في رحلته موضوعاً محدداً، ركز فيه على المحنة والظروف التي عاشها في الأسر، كما نلمس تسلسل رصين للأحداث ضمن هذه الرحلة انطلاقا من ظروف الأسر مرورا بالبيع في الأسواق وأشغال الأسرى وصولا إلى مرحلة افتكاكهم من الأسر، كما أن الأسير مويط وضع عناوين خاصة بالفصول، على عكس الأسير كاثكارت التي اكتفى بترقيم فقط للفصول.

وعندما ننظر إلى الكتابين من زاوية بنيتهما العامة والخلاصات الأساسية، التي انتهيا إليها، نكتشف تكاملهما من جهة، وتطابق كثير من أحكامهما من جهة ثانية.

أولا : أن ظاهرة القرصنة البحرية في الحوض المتوسطي، خلال القرنين 17و18، تكاد تكون ظاهرة كونية على حد تعبير **فرناند بروديل.**

وثانيهما: أننا حاولنا اصطناع آليات المقاربة، أي درجة العمل على بناء البحث، بالانتقال من مستوى الاستماع للنص، إلى مستوى إعادة تشكيله، في ضوء العدة المنهجية المتاحة لنا.

وما تبقى في العمل تفاصيل ومعطيات متاحة في النصوص، وقد قمنا باستخراجها لرسم ملامح المجتمع المغاربي خلال القرنين 17-18 من خلال رؤية الاسرى المسيحيين .

وقد تمكنا من معرفة وتتبع ظاهرة القرصنة البحرية المغاربية من خلال الصورة التي رسمها الأسرى المسيحيين خلال مرحلة مهمة من تاريخ هذه الظاهرة، كما حاولنا تكوين صورة عن المجتمع المغاربي من خلال التطرق لبعض القضايا الأساسية منها السلطة والاقتصاد والعادات والتقاليد كما رسمها الأسرى المسيحيين، وهذه هي الخلاصة المركزية في الكتابين، وقد تم الوصول إليها من خلال عمليات استدلالية مركبة، اعتمدت من جهة مادة الرحلة فيما يخص الأسير مويط ومذكرات الأسير كاثكارت، واستندت من جهة أخرى على معطيات تاريخية موثقة.

الهوامش:

[1]- الدحاني عبد الإله، **مصادر المعرفة التاريخية الاوربية حول المغرب خلال القرن الثامن عشر.** ضمن **الرحلة وصورة الأخر : قراءات في نصوص الرحالة الأوربيين حول المغرب**.تأليف جماعي ، تنسيق و تقديم كريم بجيت. منشورات دار الأمان مطبعة الأمنية الرباط 2013.

[2]- حجي محمد، **رحلة مويط،** ضمن أعمال ندوة جامعة مولاي علي الشريف الدورة الثانية، الريصاني ، دجنبر 1989 .

[3] - حجي محمد ، **الجيش والأسرى في كتابات مويط** ، ضمن أعمال ندوة جامعة مولاي علي الشريف الدورة الثانية، الريصاني ، دجنبر 1990.

[4]- جرمان مويط، رحلة الأسير مويط، ترجمة محمد حجيومحمد الاخضر، الريصاني، 1990 .

[5] - كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982.

6 - جودت هوشيار، **المذكرات الشخصية و كتابة التأريخ**، الحوار المتمدن-العدد: 3863 - 2012 / 9 / 27 - المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات .



مجلة ليكسوس

في التاريخ والعلوم الانسانية

مجلة الكترونية علمية متخصصة

أسست بمبادرة من مجموعة من الباحثين المغاربة



العدد السادس ـ أكتوبر 2016

المساهمون في هذا العدد:

- محمد أبيهي
- خالد أوعسو
- عمر عمالكي
- حفيظة بوحسي
- عبد الحكيم الزاوي
- لحرش رضوان
- مراد حصول
- هشام مرزوق



التاريخ البحري



مواقع الكترونية مفيدة:

الجمعية المغربية للبحث التاريخي: www.amrh.ma

موقع الاستقصا: www.alistiqsa.com

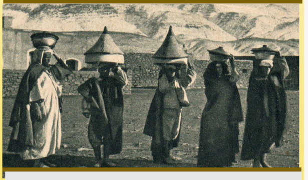
بوابة تاريخ المغرب: www.maroc-histoire.net



ضمن هذا العدد

- كتابة وإعادة كتابة التاريخ المحلي بالمغرب
- قراءة في كتاب مدينة موكادور ـ الصويرة: دراسة تاريخية أثرية
- القوانين العرفية الأمازيغية : آيت باعمران أنموذجا

تاريخ الجنوب المغربي



قضايا مناهج التاريخ



الحركات السلطانية



التاريخ الدبلوماسي



الأسرى المسحيون

صورة العدد

محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة سنة ١٩٥٢

www.maroc-histoire.net lixus@maroc-histoire.com



محاور العدد

- التاريخ: قضايا وإشكالات . التاريخ الدبلوماسي للمغرب . القوانين العرفية الأمازيغية . تاريخ أيت باعمران
- التاريخ البحري تاريخ المغارب . قضايا مناهج التاريخ . تاريخ الحركات السلطانية . تاريخ تطوان - العلاقات المغربية العثمانية

تنسيق وتصميم: محمد أبيهي